

روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

إعدام بطل



فاصل

www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية للدراسات
للطباعة والنشر والتوزيع
بمصر - القاهرة

المؤلف



د. نيل فاروق

رجل

المستحيل

سلسلة

روايات

بوليسية

للشباب

زائفة

بالأحداث

المثيرة

٥٨

التمن في مصر

وما يعادله بالدولار
الأمريكي في سائر
الدول العربية
والعالم

إعدام بطل

- لماذا تم اختطاف (قدرى) ، خير
التزوير ، لى (هاوى) ؟
- كيف يواجه (أدهم صبرى) (سونيا
جراهام) هذه المرأة ؟
- هل تنزع (سونيا) (أدهم) ؟.. هل
يمكنها أن تسبب فى (إعدام بطل) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، تشرى كيف يعمل
(رجل المستحيل) .



العدد القادم: انتقام شبح

١ — البرقية ..

« السيد مدير المخابرات العامة المصرية ...
تم اليوم . في الخامسة وعشر دقائق فجرًا . إعدام ضابطكم
المصري (أدهم صبرى) ، جثته في الطريق إليكم .. مع تحيات
(سونيا جراهام) » .

كان هذا هو نص البرقية الشفرية . التي جعلت مدير
المخابرات العامة المصرية يقفز من حلف مكتبة في دُعر . وهو
يتف في جَرَع :

— يا إلهي !!! هذا مستحيل !

ثم رفع عينيه إلى المُقَدَّم (خالد) . الذي يقف أمامه على
نحو يبدو كصورة مجسمة للحن والأسف . وصاح في وجهه
متوترًا :

— متى وصلت هذه البرقية ؟! وكيف ؟!

أجاب (خالد) في انفعال :

— لقد وصلت منذ خمس دقائق فقط . والشفرة المستخدمة
لكتابتها هي نفس الشفرة التي كان يستخدمها جهاز (الموساد)

٥

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل
واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ..
ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق
عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة
المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

٤

— كيف جرؤ على أن يفعل ذلك ؟! ليس من حق أى
رجل مخابرات أن يغادر دولته دون إذن رسمي .

ثم عادت الدهشة تملأ كيانه ، وهو يفهم في خيرة :

— ولكن لماذا فعل ذلك ؟! لماذا ؟

تناول (خالد) من جيبه ورقة ، ناوها لمديره مغمفًا :

— لقد أرسل (أدهم) برقية من (هاواى) مساء أمس
يا سيدي ، وقال فيها إنه ذهب لإنقاذ (قدرى) .

ارتفع حاجبا المدير ، وهو يتف :

— يا إلهي !!! ماذا يحدث هنا ؟! ولماذا ذهب
(قدرى) أيضًا إلى (هاواى) ؟

غمغم (خالد) في ارتباك :

— لقد كان يقضى إجازته هناك يا سيدي .

عقد مدير المخابرات حاجبيه في شدة ، وهو يحاول دراسة
الأمر ، ثم لم يلبث أن لُوح بدراعه في عصبية ، وهو يقول :

— اطلب من (أنطوان) أن يأتى إلى مكنتى فورًا .. أخبره
أن الأمر أخطر من أن تضع لحظة واحدة .

واختلج صوته وهو يردد في انفعال :

— إنها حياة (رجل المستحيل) .

٧

في الشهر الماضى ، ولقد أرسلت من جزيرة (هاواى) في
المحيط الهادى (٩) ، منذ ساعة واحدة .

ضرب مدير المخابرات سطح مكتبه بقبضته في غضب ،
وهو يتف :

— وماذا كان يفعل (أدهم) في (هاواى) ؟

تردد (خالد) لحظة ، ثم غمغم في ارتباك :

— لست أدري يا سيدي .. إنه لم يحضر أمس إلى الإدارة ،
ولقد تصوّرت أنه

قاطع مدير المخابرات في توتر :

— سنناقش هذا فيما بعد ، المهم أن نتأكد أولاً من صحة
البرقية ، أريد منكم أن تبحثوا عن (أدهم) هنا أولاً ، ثم ...

قاطع (خالد) هذا المرة ، وهو يقول في تلثم :

— معذرة يا سيدي .. ولكن المُقَدَّم (أدهم) ذهب إلى
(هاواى) بالفعل .

اتسمت عينا المدير في دهشة ، وهو يقول :

— ذهب إلى (هاواى) ؟!

ثم تحولت دهشته إلى فيض من الغضب ، وهو يستطرد في
ثورة :

(هـ) (هاواى) : جزيرة من أشهر الجزر السياحية في العالم اجمع .

٦

كان مدير المخابرات يعيد قراءة البرقية للمرأة الألف ، حينما دلف إلى مكتبه شاب متوسط الطول ، لم يكن المدير يراه حتى صاح في اهتمام :

— (أنطوان) .. أنت الحير المختص بشخصية (سونيا جراهام) ؟

عقد (أنطوان) حاجبيه ، وهو يقول في تبرُّم :

— بل يا سيدي ، ولكن سيادة المقدم (أدهم صبرى) يصّر على تجاهل ذلك تمامًا كلما
قاطعه المدير في جحظة :

— دعنا من شكوك الآن يا (أنطوان) ، وحاول أن تشرح لي ما تغيبه تلك البرقية .

تاول (أنطوان) في دهشة ، البرقية التي أعطاه إيّاها المدير ، ولم يكذب يقرؤها حتى شحب وجهه ، وهتف في دُعر :

(*) في كل جهاز مخابرات في العالم ، يوجد ما يسمى بـ (مكتب خبراء الجانب الآخر) ، وهذا المكتب يضم عددًا من المختصين بدراسة العملاء الباقين الخطورة في المخابرات الخاصة ، ويعمل كل خبير منهم شخصية واحدة ، بحيث يمكنه تفحص أسلوب تفكيرها عند الضرورة ، واستنتاج عيوبها القليلة ، أو ردود أفعالها إزاء مواقف خاصة .

٨

— لقد قتله ياسيدي .

وصلت عصية المدير إلى ذرونها ، وهو يلوح بذراعه ، قائلاً :

— ألا يحتمل أن تكون البرقية مجرد خدعة ؟ ..

بدا الحزن في عيني (أنطوان) ، وهو يقول :

— لا ياسيدي .. إنها ليست كذلك .

صاح المدير في جحظة :

— وما الذي يجعلك تجزم بذلك ؟

أجاب (أنطوان) في حزن وأسف شديدين :

— إنني خير في شخصية (سونيا جراهام) يا سيدي ..

صحيح أنها شديدة العجرفة والغرور ، ولكنها أيضًا شديدة الخذر ، ولن تجرؤ على إرسال برقية بهذا النص ، ما لم تكن قد تأكدت تمامًا من مصرع المقدم (أدهم) ، بما لا يدع مجالًا للشك ، ثم إن إضافتها لعبارة ، جسده في الطريق إليكم ، تعني أنها قد انتصرت انتصارًا ساحقًا .

امتنع وجه مدير المخابرات ، وتهاوى فوق مقعده ، وهو يغمغم في ألم :

— هل أنت واثق يا (أنطوان) ؟

٩

٢ — البداية ..

تُرى ما الذي انتهى بالأمور إلى تلك الخاتمة المؤسفة ؟ ..
كيف انتهت حياة أعظم ضابط مخابرات في العالم أجمع تلك النهاية المؤلمة ؟ ..

كيف قضى نحيبه على يد ألد خصومه (سونيا جراهام) ؟ ..
كيف أمكن لتلك الأنفسي الناعمة الحسنة أن تظفر به في النهاية ؟ ..

لن يمكننا أن نذكر ذلك دفعة واحدة ..

لابد أن نبدأ من البداية ..

بداية النهاية لحياة (أدهم صبرى) الخاطلة ..

دعونا نعد ستة أيام إلى الوراء ..

دعونا نبدأ ملحمة (إعدام بطل) ..

كان اليوم شديد الحرارة ، والعرق يتصبّب من وجوه الجميع ، حينما طرق (أدهم صبرى) باب حجرية (قدرى) ، ثم دفعه في رفق ، ودلف إلى الحجرية دون أن ينتظر جوابه

١١

أطرق (أنطوان) برأسه ، وغمغم في حزن شديد :

— لم تؤلني تقبلي في تحليل ما ، مثلما تؤلني هذه المرة ياسيدي ، ولكن الأمر لا يقبل الشك .

تشبّث مدير المخابرات بحافة مكتبه ، وأغلق عينيه محاولاً إخفاء تلك الرجفة التي سرت في جسده ، وتلك الدموع التي تجاهد للإفلات من عينيه ، وهو يغمغم في صوت بدا وكأنه يحمل حزن الدنيا كله :

— إذن فقد انتهى (أدهم صبرى) يا (أنطوان) .. لقد خسرنّا إلى الأبد ، فمن كان يحمل لقب (رجل المستحيل) .



١٠

كالعتاد .. ولم يكذب يفعل ، حتى ارتسمت ابتسامة مريحة على شففيه ، وأطلق ضحكة قصيرة ، وهو يقول :
— يا إلهي !! معذرة ياسيدى .. لقد أخطأت الحجرة لاشك .

انطلقت ضحكة (قدرى) مملجة في مرج ، وهو يقول :
— أرحمني هذه المرة من عباراتك الساخرة يا صديقى ، ولا تقلد إجازتى في بدايتها .

ضحك (أدهم) مرة أخرى ، وهو يتأمله في مرج ودهشة ، فقد كان (قدرى) يرتدى سروالاً ضخمًا أيضًا اللون ، يتفخ من أعلاه بكرشه الضخمة ، وقميصًا ضيقًا متركبًا بالوان زاهية ، قصير الأكمام ، ويصفف شعره في أناقة لم يعتدها ، ويخفى عنيه بنظار شمسى داكن ، ولقد اجترأ وجهه خجلًا ، حينًا لاحظ أن (أدهم) يتأمله على هذا النحو ، وغمغم وهو يتسم :

— لقد كنت أجرى (بروفة) على مظهرى ، فسأقضى إجازتى هذه المرة في جزيرة (هاواى) .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :
— ولكيك تبدو كأصحاب الملايين في هذا الزم

يا صديقى ، وخاصة بكرشك الضخمة هذه ، أراهنك أن رجال الجمارك في (هاواى) سيظنون أنك تستخدمه لتهرب المصنوعات .

قهقهه (قدرى) في مرج ، وهو يقول :
— المهم ألا يصيروا على تفتيشه يا صديقى .
لوح (أدهم) بكفه ، وهو يقول صاحكا :
— لن يجروا على فعل ذلك يا صديقى . إلا بعد استدعاء خبراء المفرقات .

ثم جلس على المقعد المقابل لـ (قدرى) . وهو يستطرد مبتسمًا :

— ولكن لماذا وقع اختيارك على (هاواى) بالذات ؟
أغلق (قدرى) عينيه ، وهو يقول في لهجة حاملة :
— إننى أحلم بذلك منذ طفولتى يا (أدهم) . ولقد أذخرت مبلغًا يكفى لنحى أفضل إجازة في عمرى كله .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :
— كنت أحب أن أصحبك ، ولكن
قاطعه (قدرى) صاحكا :
— لا .. يا صديقى .. أرجوك .. أريدها إجازة هادئة ،

— يالها من إجازة ساحرة ، تستحق الساعات الثماني عشرة ، التى استغرقتها الرحلة من القاهرة إلى هنا !!
تهد مرة أخرى في عمق ، وكاد يفلق عينيه في تراح ، حينًا سمع صوتًا يقول في لهجة مريحة أمريكية :
— ها هو ذا شخص آخر يضع إجازته هباء .

كانت العبارة غير محدودة على الإطلاق ، ولكن (قدرى) شعر أنها موجهة إليه بالذات ، فأدّار عينيه إلى مصدرها ، وتطلع في هدوء إلى رجل وسم ، رياضى القوام ، يقف أمامه مبتسمًا ، مرتديًا قميصًا أبيض اللون ، وسروالًا قصيرًا أزرق ، وتبدو الحيوية واضحة في قسماته ، على الرغم من الشعر الأبيض الذى يصعب فرقه في أناقة ، والتجاعيد القليلة حول عينيه ، والتى تؤكد أنه قد تجاوز الخمسين من عمره بغامتين على الأكثر .. وقبل أن يتفوه (قدرى) بكلمة واحدة ، انحنى نحوه الرجل ، وهو يستطرد بنفس لهجته المريحة :

— (هاواى) تزخر بأوجه المتعة المختلفة يا صديقى ، ومن الخطأ أن يضع المرء فيها وقته مسترخيًا هكذا .
كانت لهجة الرجل أمريكية واضحة ، مما جعل (قدرى) يتسم ، وهو يقول بالإنجليزية :

وأنا لم أنس بعد ما حدث في آخر إجازة قضيتها معاً ..
نهض (أدهم) ليبت على كتفه ، قائلاً في ود :
— سأفقدك كثيرًا يا صديقى ، ولكننى أرجو لك إجازة طيبة ، وفكك الله .. حاول أن تستمتع بكل لحظة منها .
هتف (قدرى) في نشوة :

— سأفعل يا صديقى .. سأفعل .. سأجعلها أفضل إجازة في العمر بإذن الله .

استنشق (قدرى) هواء (هاواى) في نشوة وسعادة ، واختزنه في صدره لحظة ، وكأنه يتبنى الاحتفاظ به إلى الأبد ، ثم زفره في قوة ، وابتسم ابتسامة عريضة ، وهو يتأمل الشاطئ الساحر ، وترك جسده الضخم يسترخى فوق مقعد وثير بالغ الضخامة ، وفرد ساقيه عن آخرهما يداعب الرمال البيضاء بقدميه العاريتين ، قبل أن يغمغم في تلذذ :

(*) راجع قصة (رحلة الهلاك) .. للمعاصرة رقم (٥٤) .

— إننى أعمل طوال العام ، والإجازة عندي تعنى
الاسترخاء .
أطلق الرجل ضحكة مرحة ، وربّت على كرش (قدرى)
فى وُدّ ، كما لو كانا صديقين قديين ، وهو يقول :
— لا تحاول إقناعي يا صديقي .. إن لديك هنا من الأدلة
ما يؤكد أن عملك نفسه يعتمد على الاسترخاء .
كان الرجل يبدو ودوداً طريفاً ، ولقد ذكر أسلوبه
(قدرى) بدعابات (أدهم) ، مما جعله يعتدل قائلاً فى مرح :
— هذا صحيح ، فيمكنك أن تقول إننى قتان ، يعتمد
عمل كله على رأسى وأصابعى فحسب .
أوماً الرجل برأسه فى اهتمام ، ثم مَدّ يده إلى (قدرى)
مصافحاً ، وهو يقول :

— تسعدنى دائماً مقابلة الفنانين يا صديقي .. أنا (فرانك
جوردان) ، رجل أعمال من (فلوريدا) بالولايات المتحدة
الأمريكية ، والأصدقاء ينادوننى (فرانكى) .
صافحه (قدرى) فى وُدّ ، وهو يقول :
— وأنا (قدرى) .. قتان من مصر .
جلس (فرانك) على المقعد الخاور لـ (قدرى) ، دون
أن يدعوهُ الأخير لذلك ، وقال فى اهتمام :



فأدار عينيه إلى مصدرها ، وتطلّع فى هدوء إلى رجل وسم ،
رياضة القرام ، بلف أمامه مبسّتا ..

— يا إلهى ...! لا بد أن هذا قد كلّفك ثروة طائلة يا مستر
(فرانك) .
ابسم (فرانك) ، وهو يقول فى هدوء :
— بالطبع يا صديقي .. لقد كلّفنى هذه الفيلما ما يربو على
مليونى دولار .
أطلق (قدرى) من بين شفثيه صفير دهشة ، ثم أشار إلى
قوس أنيق ، وجمعة تمثّل بالشّباب ، وقال :
— هل تهوى هذه الرياضة ؟
ألقي (فرانك) نظرة سريعة على القوس والشّباب ، ثم
غمغم فى هدوء :
— إننى أفوق (روبن هود) فى هذا المجال يا صديقي (*) .
ثم التقط القوس ، ووضع فيه أحد الأسهم ، وأشار إلى
نتيجة الحائط الصغيرة ، وهو يقول :
— انظر إلى يوم السادس من يوليو .

(*) (روبن هود) : شخصية حار الجميع لإصدار حكم نهائى
بشأنها ، فهناك من يجرّم بوجوده فى القرن الرابع عشر فى (إنجلترا) ،
وهناك من يؤكد أنه مجرد شخصية أسطورية ، ويقال إنه كان أبرع أهل
الأرض فى استخدام القوس والشّباب ، ولقد غلّده الرواق (سير والتر
سكوت) فى رواية تحمل نفس الاسم .

— إذن فأنت مصرى ...! كم اتّنى زيارة مصر ، ورؤية
الأهرامات .
ثم مال نحو (قدرى) مستطرذاً فى اهتمام زائد :
— ما رايك أن أدعوك للغداء فى قبلى هنا ، لتحدّث قليلاً
عن مصر ؟
ضحك (قدرى) ، وهو يقول :
— لن أتردّد فى قبول دعوتك يا مستر (فرانك) ،
لو أنك تتناول الأطعمة الدسمة .
هتف (فرانك) فى حماس :
— إننى أعشقها ..
ثم نهض من مقعده مستطرذاً :
— هيا بنا .. أنا والحق من أننا سنصبح صديقين بعد أول
وجبة مشتركة .

ونهض (قدرى) فى بساطة ، دون أن يلمح تلك النظرة
الظافرة الحبيطة ، التى تألّقت فى عيني (فرانك جوردان) ..

وقف (قدرى) يتأمّل فيلا (فرانك) فى انبهار ، وهو
يقول :

وبسرعة أطلق سهمه ، وآه (قدرى) ينفرس فى نفس النقطة التى حددها (فرانك) مسبقًا ، والتى لا تتجاوز الستيمتر المربع ، فهتف فى إعجاب :

— يا إلهى !! إنك تذكّرنى بـ .. بصدىقى .

ابسم (فرانك) فى فخر ، وقال :

— هل صدقت الآن أنى أفرق (روبن هود) ؟

قبل أن يفتح (قدرى) شفتيه ، انبعث صوت أنثوى من خلفه يقول :

— ما من شك فى هذا يا (فرانك) .

عقد (قدرى) حاجبيه فى دهشة ، وغمغم وهو يلتفت إلى مصدر الصوت فى حدة :

— (منى) ؟

ولكن عينيه ازدادت اتساعًا ، حينما وقع بصره على فتاة حسناء ، لها شعر أشقر جميل ، وعينان زرقاوان يلمعان البحر ، فأمّلتها لحظة فى دهشة ، ثم لم يلبث أن ابسم فى خيبت ، والفتت إلى (فرانك) قائلاً :

— حسنا يا عزيزى (أدهم) .. لقد انتهت اللعبة .

عقد (فرانك) حاجبيه ، وهو يقول :

— لعبة ١٢ .. أية لعبة ؟

صحك (قدرى) ، وهو يقول :

— لا تواصل خداعى .. لقد كشفك صوت (منى) ..

قد يمكنك تبديل ملامحها ، ولكنها لا تملك مثل حنجرتك المرنّة ، وأنا لا أخطئ تمييز صوتها أبداً أو ...

وفجأة .. احتست الكلمات فى حلقى (قدرى) ، وجفّ

لغابه من فرط انفعاله ، حينما سمع صوتاً ساخراً يقول :

— أشكرك أيا البدين ، لقد أكّدت لى حسن اختيارى .

الفت (قدرى) فى حدة إلى مصدر الصوت ، ولم يكد

يطالع وجه صاحبة الصوت ، حتى تراجع فى حركة حادة ،

جعلته يرتطم بمضدّة صغيرة ، ويسقط بجسده البدين على

ظهره ، فى حين أشعلت صاحبة الصوت سيجارة رفيعة فى

حركة متفطرة ، ونفثت دخانها فى الهواء ، وهى تقول فى

سخرية :

— اعتقد أننا لن نحتاج للتعارف أيا البدين ، فلا شك أنك

تعرف من أنا .. لا ريب أنك لن تخطئ أبداً معرفة (سونيا

جراهام) .

٣ — المبادلة الرهيبة ..

اتسعت عينا (منى) فى مزيج من الدهشة والفرح ، وهى تفتح باب منزلها ، وتحقق لى وجه الزائر الوسيم ، قبل أن تهتف فى سعادة :

— (أدهم) ؟! .. مرحباً بك .

ابسم (أدهم صبرى) ، وهو يقول فى هدوء وبصوت شاحب :

— هل آتيت فى وقت غير مناسب ؟

هتفت فى حماس ، وهى تنقده إلى حجرة الجلوس فى منزلها :

— بالنسبة لك كل الأوقات مناسبة يا (أدهم) ، إن زيارتك لى تسعدنى دوماً .

بدت ابتسامته باهتة ، وهو يغمغم :

— إنها ليست زيارة بالمعنى المفهوم يا (منى) .

تلاشت ابتسامتها الفرحية ، وهى تسأله لى قلق :

— أهى مهمة جديدة ؟

مطّ شفتيه وهو يقول :

— بل مشكلة جديدة .

هتفت لى توئّر :

— ماذا حدث ؟

جلس فى هدوء وهو يناولها منظروفاً أزرق اللون ، ويقول :

— لقد وصل هذا بالبريد السريع إلى منزلى منذ ساعة واحدة .

تناولت (منى) المظروف لى اهتمام ، وفحصته لتلتقط منه

خطاباً صغيراً ، ومجموعة من الصور الفوتوجرافية ، لم تكد

تنظر إليها حتى أطلقت من أعماق صدرها شهقة قوية ، وهتفت

فى انفعال :

— يا إلهى !! .. (قدرى) ؟

كانت الصور الفوتوجرافية تمثّل (قدرى) مقيّداً ،

مُكْتَمًا ، ومُلقًى داخل مكان غريب ، يبدو كأنه قبر منزل

قديم ، وكان الخوف والتوئّر يبدوان واضحين لى ملامحه ،

فهتفت (منى) مستطردة :

— من فعل به ذلك ؟

أشار (أدهم) بيده إشارة مبهمّة ، وهو يقول :

— أفرق الخطاب يا (منى) .

نقلت (منى) عينيها لى توئّر إلى كلمات الخطاب ،

وأخذت تقرؤها فى انفعال ..

كانت كلمات الخطاب القصير تقول :

— عزيزي الشيطان المصري المعروف باسم (أدهم

صبرى) ..

لقد نجحت في اقتصاص صديقك البدين في (هاواي) ،
وها هي ذى صُورُهُ بين يديك ، تؤكد لك أنني لا أمزح أو
أناور .. وأصارحك القول إننى لا أنوى إعدامه فوزًا ، فربما
زاق لك أن تفديه .. وأنا أعرض عليك المبادلة .. حياتك
مقابل حياته .. ولن أنتظر طويلاً .. « (سونيا جراهام) .

صاحت (منى) في انفعال :

— (سونيا جراهام) ؟! .. ولكنها تركت العمل في

(الموساد) منذ هزيمتها الأخيرة في (اليونان) (١٠) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

— أنت لا تعرفين (سونيا جراهام) مثلما أعرفها

يا (منى) .. إن الكراهية التي تكنها لي ليست وليدة اثنتائنا

لجهازى مخابرات متصارعتين ، ولكنها نشأت مع مرور الوقت

من هزالهما المتتالية أمامى ، كلما التقينا في عملية من عمليات

الخبابرات .. و (سونيا) شخصية مغرورة متفترسة ، نكره أن

(٤) راجع قصة (مهمة خاصة) .. المغامرة رقم (٥٠) .

لثمتى بهزيمة واحدة ، وهى الآن تحاول الانتقام من شخصى ،
بعد أن تسببت في فصلها من (الموساد) .

سألته (منى) في قلق :

— وماذا تنوى أن تفعل ؟

هز كتفيه وهو يقول في هدوء :

— إننى أحفظ بذلك الخطاب الذى يمنحنا صفة

ديبلوماسية ، والذي يحول لنا الحصول على تأشيرات السفر

من أية سفارة أجنبية فوزًا ، كما أحفظ بجوازى سفر

ديبلوماسيين لي ولك ، ولقد ذهبت فور وصول الخطاب إلى

سفارة الولايات المتحدة الأمريكية ، وحصلت بموجب

الخطاب على تأشيرتى دخول ، و

قاطعتها (منى) في تولثر :

— ولكن ينبغي أن يُبلغ الإدارة أولاً ، فالأمر أخطر من

قاطعتها (أدهم) هذه المرة في حزم :

— سيستغرق هذا بعض الوقت لدراسة الأمر ، وبمخه ،

ولا ريب أن (سونيا) تتوقع ذلك ، لذا فسأفاجئها بسفرنا

إليها على أول طائرة .

هتفت (منى) :

٤ — التحدى ..

شدّ (فرانك) وتر قوسه في براعة ، وضاحت عيناه وهو

يسدّ سهمه إلى ذلك الهدف المستدير ، المكوّن من عدة

حلقات بيضاء وسوداء ، وبدا مظهره رائعًا في زيه

الرياضى الأنيق ، قبل أن يطلق سهمه ، الذى استقرّ في مركز

الهدف تمامًا ، فابتسم في فخر وإعجاب ، والفتت إلى

(سونيا) التي بدت باهرة الحسن ، كأنها هى واحدة من

أميرات الأساطير ، وقال في غرور واضح :

— ما رأيك يا أميرى الحسناء ؟

غمغمت في ضجر ، وهى تجبر شفيتها الجميلتين على

الابتسام :

— رائع يا (فرانك) .. إنك تتفوّق على نفسك في كل

مرة .

وضع (فرانك) قوسه على مقعد مخمل في عناية ، ثم النقط

زجاجة خمر ، صبّ بعضًا منها في كأسين ، وناول إحداها إلى

(سونيا) ، وهو يجلس إلى جوارها قائلًا :

— وماذا تنوى أن تفعل هناك ؟

مطّ شفّته ، وهو يقول في هدوء :

— الطائرة ستقلع بعد ساعتين يا (منى) ، فدعينا لا نضيع

الوقت في مناقشة هذه الأمور الآن .

هتفت في تولثر :

— أخبرنى أولاً .. ماذا تنوى أن تفعل مع (سونيا

جراهام) ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

— إننى لن أخلّى عن (قدرى) يا (منى) .. إنه صديق

عمرى .

ثم شدّ أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يستطرد في هدوء

خفيف :

— سأمنح (سونيا) ما تطلبه .. سأقبل هذه المبادلة

الرهية ، سأدفع حياتى ثمناً لخلاص (قدرى) .

والسعت عيناً (منى) في دُعر ..

— هل تظنين أن غريتك (أدهم صبرى) هذا سيقبل
المبادلة ؟

التقطت كأس الخمر ، وجرتها دفعة واحدة ، مما جعل
الدماء تصاعد إلى وجهها ، لتخفى انفعالها وهى تقول :
— (أدهم صبرى) لا يمكنه أن يستسلم بسهولة
يا (فرانك) ، فهو صلب شديد العناد ، ولكنه فى الوقت
نفسه ذكى كاللعاب ، وسيحاول الفوز بصديقه البدين دون
أن يفسد حياته ، ولكن شهامته ستجعله يفعل ذلك فى حذر ،
حتى لا يعرض حياة صديقه للخطر .. ومهمتى هى أن أجعل
ذلك مستحيلا ، بحيث لا يجد (أدهم صبرى) أمامه سوى
الاستسلام .

ابتسم (فرانك) ، وهو يقول فى سخرية :
— إن كراهيتك الشديدة لهذا الرجل تبدو كأنها تعود إلى
عامل شخصى يا أميرق .

غمغمت (سونيا) فى سخط :
— إنك لم تتجاوز الحقيقة كثيرا يا (فرانك) .
ثم أردفت فى هجة تفيض بالكراهية والبغض :
— منذ تركت العمل بـ (الموساد) ، لم يعد لحياتي إلا
هدف واحد ..



شد (فرانك) وتر قوسه فى براعة ، وضاعت عيانه
وهو يسدده سهمه إلى ذلك الهدف المستدير ..

ستاجنا ، حتى خطابها لم يتضمن موعدا أو مكانا للقاء ، وهذا
يغنى أن أحد رجالها يراقبنا فى هذه اللحظة ، وسيلفها حتما
بوصولنا ، وهى لن تتردد طويلا قبل أن تهاجنا .
ثم ابتسم فى سخرية ، وهو يردف :

— ولست أحب أن أطيل انتظارها بإبدال ملاهى .
غمغمت (منى) فى توثر :
— ولكنك هكذا تتحدثها بوجه سافر .

أوما برأسه إيجابا ، وقال فى هدوء :
— هذا صحيح يا عزيزتى ، إننى أتحدى (سونيا جراهام)
بأوراق مكشوفة ، واقه (سيحانه وتعالى) وخدعة يعلم لمن
سيكون النصر فى النهاية .

اجتاحت موجة هائلة من الانفعال (سونيا جراهام) ،
وهى تقبض على سماعة الهاتف فى قوة ، وتعنف :
— لقد وصل .. هذا المفرور المتفطرس جاء ملافاة (سونيا
جراهام) بوجه عار .. سيندم .. أقسم بشياطين الجحيم أنه
سيندم .

أمسك (فرانك) ذراعها فى قوة ، وهو يقول فى صرامة :

وبعث صوتها قشعريرة باردة فى جسد (فرانك) ، حينما
استطردت فى غضب :

— قتل (أدهم صبرى) ..

غمغمت (منى) فى مزيج من السخط والتوثر ، وهى تهبط
إلى جوار (أدهم) ، من الطائرة التى وصلت تورا إلى
(هاواى) :

— ما زلت أصّر على أن وصولك إلى هنا دون أى تنكر
يعد انتحارا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يجيبها فى هدوء :
— لا يقلقلتك هذا يا عزيزتى .. لقد أحضرت معى حقيبة
أدوات التنكر .

هفت فى حنق :

— وما فائدة ذلك ؟ .. هل تظن أن (سونيا جراهام)
ستمحك ما يكفى من الوقت لتبديل ملامحك ؟ .. إنها ستبادر
بهاجنتك فور كشفها لوصولك .

هز كفيه ، وهو يقول فى هدوء :

— هذا ما أسعى إليه بالضبط يا عزيزتى ، فنحن لا نعلم
أين تحتفظ (سونيا) بـ (قدري) ، ولا متى أو كيف

— زُونِدْكَ يا اميرتى .. سيقنك الانفعال قبل أن تمسى
شجرة منه .

أَلَقْتُ سَمَاعَةَ الْهَاتِفِ فِي قُوَّةٍ ، وَهِيَ تَقُولُ :
— إِنِّى أَكْرَهُهُ يَا (فِرَانْكَ) !! أَكْرَهُهُ !!
ابْتَسَمَ (فِرَانْكَ) وَهُوَ يَشْعَلُ سِجَارَهُ الْفَاخِرَ ، وَقَالَ وَهُوَ
يَنْقُثُ دُخَانَهُ فِي الْمَوَاءِ فِي بَطْنِهِ وَهَدْوً :
— أَطْمَئِنِّ يَا عَزِيزَتِى الْفَاتِنَةُ (سُونِيَا) .. سَيْلَقِى غَرِيمَكَ
مَصْرَعَهُ فَوْرَ خُرُوجِهِ مِنْ مَطَارِ (هَاوَاي) .
اتَّسَعَتْ عَيْنَا (سُونِيَا) فِي ذَهُولٍ ، وَهِيَ تَصْرُخُ فِي
غَضَبٍ :

— مَاذَا ...!!؟ مَنْ أَمْرٌ بِذَلِكَ ؟
لَوْحٌ بِذِرَاعِهِ فِي حَرَكَةٍ مَسْرُوحَةٍ مَضَامُطَةٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :
— إِنَّكَ تَقْلَلِينَ مِنْ شَأْنِي يَا فَاتِنَتِي .. هَلْ نَسِيتِ أَنْتِ أَنْتِزَعِمَ
أَكْبَرَ شَبَكَةِ التَّرَوِجِ الْمُتَحَدَّرَاتِ فِي الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ ؟.. لَقَدْ
قَرَّرْتُ أَنْ أَقْدِمَ لَكَ رَأْسَ غَرِيمِكَ هَدِيَّةً ، عَلَى طَبَقٍ مِنْ ذَهَبٍ ؛
لِذَا لَقَدْ أَمَرْتُ رَجَالِي بِـ ...
قَاطَعَتِهِ (سُونِيَا) بِصَرْخَةٍ هَادِرَةٍ :
— أَيُّهَا الْغَيِّى .

٣٢

امْتَزَجَ الْغَضَبُ وَالْهَشَّةُ فِي عَيْنِي (فِرَانْكَ) ، وَشَاهِبَهُمَا
الِاسْتِكَارَ وَهُوَ يَتَفَفَّ :

— مَاذَا تَقُولِينَ يَا (سُونِيَا) ؟.. كَيْفَ جَرُوتُ عَلَى ... ؟
قَاطَعَتَهُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَهِيَ تَصْرُخُ فِي ثَوْرَةٍ :
— مَنْ طَلَبَ مِنْكَ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ ؟.. مَنْ ذَا الَّذِي سَأَلَكَ
هَدِيَّةً لَعَيْنَةٍ كَهَذِهِ ؟.. إِنْ (أَدْهَمُ صَبْرِي) لِي .. لِي وَخِيْدِي ..
وَلَنْ تَسْفِرَ مَحَاوِلَتِكَ إِلَّا عَنْ تَتَبُّعِهِ قَبْلَ الْاَوَانِ .
عَقَدَ (فِرَانْكَ) حَاجِيَتِهِ فِي غَضَبٍ ، وَهُوَ يَقُولُ فِي جِدَّةٍ :
— لَنْ يَجِدَ الْوَقْتَ الْكَافِيَ لِيَتَبَّهَ إِلَى شَيْءٍ يَا (سُونِيَا) ، إِنْ
(مَارْكَ) وَ (سَانْدِي) يَنْتَظِرَانِهِ أَمَامَ الْمَطَارِ ، وَلَدَيْهِمَا أَوَامِرُ
بِتَحْوِيلِ رَأْسِهِ إِلَى كُوْنَةِ مِنَ الثَّقَايَاتِ ، فَوْرَ رُؤْيَيْهِمَا لَهُ .
أَطْلَقَتْ (سُونِيَا) ضَحْكَةً سَاخِرَةً تَمُوجُ بِالْمَرَارَةِ ، وَلَوْحَتِ
بِذِرَاعَيْهَا صَانِحَةً فِي خَتَقٍ :

— كُوْنَةُ ثَقَايَاتٍ ؟.. يَالِكَ مِنْ أَرْغَنِ سَاذَجٍ !!.. مَنْ
الْوَاضِحِ أَنَّكَ لَا تَعْرِفُ مِنْ هُوَ (أَدْهَمُ صَبْرِي) ، وَلَكِنَّكَ
مَادَمْتَ تَتَحَدَّثُ عَنِ الثَّقَايَاتِ ، فَتَسْرِعُ بِإِحْضَارِ صَنْدُوقِ
الْقَنَامَةِ ، وَمَلَقَطِ صَغِيرٍ لَتَجْمَعَ بِهِ بَقَايَا رَجُلَيْكَ ، مَا دَامَا
سَيَحَاوِلَانِ قَتْلَ (أَدْهَمُ صَبْرِي) .

٣٣

(م) — رَجُلُ الْمَسْتَحْمِلِ (٥٨) (إِيْدَامُ بَظَل)

— سَأَفْعَلُهَا عَلَى نَفْسِ النُّحُوِّ الَّذِي فَجَّرْنَا بِهِ رَأْسَ مِفْتَشِ
شُرْطَةٍ (فِلَوْرِيْدَا) يَا صَدِيقِي .. سَأَنْجِزُ الْمَهْمَةَ فِي ثَانِيَةِ
وَاحِدَةٍ ..
وَارْتَفَعَ صَوْتُ طَلَقَاتِ مِدْفَعِهِ الرِّشَاشِ فِي مَنَاطِقِ الْمَطَارِ
كُلِّهَا ..



٣٥

وَعَادَتْ تَصْرُخُ فِي ثَوْرَةٍ :
— أَيُّهَا الْغَيِّى .. لَقَدْ جَعَلْنَا نَخْسِرَ الْجَوْلَةَ الْأُولَى .

أَدَارَ (مَارْكَ) مَحْرُكَ سَيَارَتِهِ ، وَأَرْغَى صِمَامَ الْأَمَانِ فِي
مَسْدُوسِهِ الضَّخْمِ ، وَهُوَ يَتَطَلَّعُ إِلَى بَوَابَةِ الْمَطَارِ قَائِلًا فِي سَخَرِيَّةٍ :
— هَا هُوَ ذَا الصَّيْدِ يَا عَزِيزَتِي (سَانْدِي) .. اسْتَعِدَّ
بِمِدْفَعِ الرِّشَاشِ ، فَالزَّعِيمُ يَرِيدُ مَثًا أَنْ تَفْجَّرَ رَأْسَهُ ، بِحَيْثُ
يَعْبُزُ أَعْظَمَ الْأَطْبَاءِ الشَّرْعِيِّينَ عَنْ تَعَرُّفِهِ مِنَ الْفَتَاتِ الَّذِي
سَيَبْقَى مِنْهُ .

ابْتَسَمَ (سَانْدِي) فِي شِرَاسَةٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :
— هَلَمْ يَا صَدِيقِي .. إِنِّى أَتَحَرَّقُ شَوْقًا لِمَدَاعِبَةِ زَنَادِ مِدْفَعِي
الرِّشَاشِ .
انْطَلَقَ (مَارْكَ) بِسَيَارَتِهِ نَحْوَ (أَدْهَمِ) وَ (مَنِ) ، وَهُوَ
يَغْمِغِمُ فِي سَخَرِيَّةٍ :

— يَا لَهَا مِنْ مَهْمَةٍ تَقْلِيدِيَّةٍ سَخِيفَةٍ !!
أَطْلَقَ (سَانْدِي) ضَحْكَةً وَحْشِيَّةً سَاخِرَةً ، وَصُوبَ قُوْرَةِ
مِدْفَعِهِ نَحْوَ (أَدْهَمِ) وَ (مَنِ) ، وَهُوَ يَتَفَفَّ :

٣٤

يجزم كل من أسعدهم الحظ بالتعامل مع (أدهم) من زملائه، وكل من ذاق المرزعة على يديه من أعدائه وخصومه، أن عامل المفاجأة مع (أدهم صبرى) يساوى صقرا .. فهو يتميز بسرعة استجابة مذهلة، طالما أثارته خيرة ودهشة وإعجاب مدرّبيه، في أثناء عمله في قوات الصاعقة المصرية، أو عند انضمامه إلى جهاز المخابرات العامة، حتى أن أحدهم قال عنه: «إن (أدهم صبرى) يبدو كأنه يتحرك في بعد زمني مخالف لنا، فالحدث الذى يستغرق من الإنسان المتفوق دقيقة كاملة لدراسته واستيعابه، واتخاذ القرار بشأنه، ثم تنفيذه، لا يستغرق من (أدهم صبرى) سوى ثانية واحدة، فهو يستوعب الموقف، ويتخذ القرار، وينفذه، قبل أن يدرك خصمه ما حدث، حتى يبدو وكأنه عاصفة قاسية، اجتاحت فجأة مركبا ساكنا، في يوم هادئ صحو» ..

ولقد كان هذا ما حدث ..

لقد كان (أدهم) يلوح لإحدى سيارات الأجرة، حينما لمح بطرف عينيه ماسورة مدفع (ساندى) الرشاش، وهى

تخرج من نافذة سيارته، فتحرك في سرعة مذهلة، ودفع (منى) جانباً، وغاص إلى أسفل متفادياً الرصاصات القاتلة، وتجاهل الرعب والذهول والهرج والمرج، وانطلق فجأة كالعاصفة نحو السيارة ..

وقبل أن يدرك (مارك) و (ساندى) ما يحدث، كان (أدهم) قد قفز فوق مقدمة السيارة في رشاقة مذهلة، وقفز ليخترق زجاجها الأمامى كالقنبلة، ويسقط فوق (ساندى) ..

احتل توازن عجلة القيادة في يد (مارك)، حينما رأى (أدهم) يقبض على معصم (ساندى) بقبضة فولاذية، ليرفع قوة مدفعه الرشاش إلى أعلى، ثم يهوى على فكّه بلكمة صاعقة، جحطت لها عينا (ساندى)، وسالت لها الدماء من أنفه الذى تحول إلى خليط من اللحم المنقرى والعظام المهشمة، قبل أن يسقط رأسه إلى الخلف، ويغيب عن الوعي ..

وفي سرعة كبيرة تغلب (مارك) على ذعره وذهوله، وانترع مسدسه الضخم، وصوبه إلى رأس (أدهم) وهو يصرخ:



فلوحت له بمسدسها الصغير، وأرادت أن تعيده إلى حليتها، ولكنها فوجئت بيد قوية توضع على كفها ..

— أيها الشيطان !!.. سوف

كاد (أدهم) يطلق قبضته في فكّه، ولكن رصاصة اخترقت زجاج السيارة الخلفى، وأصابته مسدس (مارك) إصابة محكمة، وجعلته يطير غير الزجاج الأمامى المغطم، فانسحبت عينا المجرم في ذهول، وهتف:

— هذا مست ..

وأجبرته قبضة (أدهم) على ابتلاع باقي الكلمة، مع التنين من أسنانه، حينما هوت فوق فكّه كالقنبلة، فأطلق شهقة قوية، ولحق بزميله (ساندى) في عالم اللاوعى، في حين أسرع (أدهم) يضغط كفاحه السيارة، التى توقفت بصريه مزعج، ثم استدار إلى حيث تقف زميلته (منى)، وفي يدها مسدس صغير يتصاعد من فوهته عمود من الدخان، واتسم وهو يشير إليها بإبهامه المفروود وقبضته المضمومة، فلوحت له بمسدسها الصغير، وأرادت أن تعيده إلى حقيبتها، ولكنها فوجئت بيد قوية توضع على كفها، وسمعت صوتا صارما، يقول بالأمريكية:

— ليس بعد ياسيدنى .. إن مسدسك الصغير هذا يثير اهتمامنا جدًا ..

وزفرت في ضيق ، حينما نمت خلف هذا الصوت زئيراً ربيعاً
من أزياء رجال شرطة (هاواي) .

صاحت (سونيا جراهام) ، وهي تلقى سماعة الهاتف في
غضب :

— هل رأيت كم كنت غيباً ببادرتك الحمقاء هذه
يا (فرانك) ؟ .. لقد حطمت (أدهم صبرى) وجليك في
بساطة ، ولولا أن ألقى رجال الشرطة القبض عليه وزميله
لاستجوابهما ، لحوّلنا إلى كومة ثفايات .

احتقن وجه (فرانك) غضباً ، وقال في حنق :

— يبدو أنني لم أقدر هذا الشيطان حق قدره .

هفت (سونيا) :

— كان ينبغي أن تستشيرني قبل أن تقدم على هذه الخطوة
الحمقاء .

صاح (فرانك) في غضب :

— إنني لم أعد استشارة مخلوق في قراراتي يا (سونيا) ،
وكفى واقفت على معاونتك في القضاء على هذا الشيطان ،

٤٠

لا يعني أن تضعي نفسك في مرتبة أعلى .. عليك منذ هذه
اللحظة مخاطبتي بأسلوب لائق ، وإلا نبذت جمالك الفئان هذا
كما نبذت دولك .

ارتاعت (سونيا) حينما شعرت أنها ستفقد فرصتها للانتقام
من (أدهم) ، فلان صوبها ، وهي تقول :

— اغفر لي ثورتي يا عزيزي (فرانك) .. إنني لم أكن أبداً
أنك الزعيم ، ولكن كراهيتي لذلك الشيطان أفقدتني صوابي .

ابتسم (فرانك) في غرور ، وقال :

— لا عليك .. إنني أقدر ذلك .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يسألها في اهتمام :

— هل قلت إن رجال الشرطة قد ألقوا القبض على

شيطانك وزميله ؟

أومأت (سونيا) برأسها إيجاباً في دلال ، فابتسم في

دهاء ، وهو يقول :

— هذا رائع .. لقد منحنا ذلك الشيطان فرصة التخلص

منه .

والنقط سماعة الهاتف ، وهو يقول في ثقة ساخرة :

٤١

زفر المقتش في ضيق ، وقال :

— وهل أطلق نفسه أيضاً في مهارة ، ليصيب مسدس

الرجل إصابة مُحكمة ، ومنح رفيقك تلك المهارة المذهلة ؟

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول .

— هل يعاقب القانون (هاواي) على اللبابة البدنية ؟

احتقن وجه المقتش (ماني) ، وهو يقول في غضب :

— اسمع يا مسر (أدهم) .. من العبث أن تحاول تقليد

أبطال الأفلام الأمريكية ، وإلا جاءت العاقبة وخيمة .

كاد (أدهم) يلقى إليه بعبارة ساحرة أخرى ، لولا أن

ارتفع رنين الهاتف في تلك اللحظة ، فاختطف (ماني)

سماعته ، وقال في جدّة :

— من المتحدث ؟

شحب وجهه فجأة ، وارتبك صوته ، وهو يقول بعد وهلة .

من الصمت :

— إنه أنا يا مسر (فرانك) .. نعم .. إنهما هنا في

مكتبتي .

وعاد يستمع إلى محادثته في اهتمام ، وهو يتطلع إلى (أدهم)

و (ماني) بنظرة غامضة ، قبل أن يغمغم في خفوت :

٤٣

— يمكنك وبكل ثقة إضافة كلمة (سابقاً) إلى اسم
شيطانك المصري هذا ..

وأطلق ضحكة شيطانية ساخرة ، أثارت حنق (سونيا)
وغيطها ..

وقف مفتش الشرطة (ماني) يتأمل (أدهم) و (مني)
لحظة ، ثم التقط مسدس (مني) الصغير ، وقلبه بين يديه ،
قبل أن يقول في جدّة :

— أعلم أن شهود الحوادث كلهم قد أجمعوا على أنكما كنتم
تدافعان عن نفسيكما ، وأن الرجلين اللذين ألقينا القبض
عليهما حاولا قتلكما باستخدام ذلك المدفع الرشاش ، ولكن
هذا لا يفسر مهارتك المذهلة يا مسر (أدهم) ، ولا ذلك
المسدس المصنوع بأكماله من البلاستيك ، بحيث لا تكشفه
أجهزة الفحص في المطارات ، والذي أطلقت منه النار
يا مس (مني) .

ابتسمت (مني) في برود ، وهي تقول :

— لست أدري من أين جاء هذا المسدس الطريف يا سيدي
المفتش ، لقد وجدته فجأة تحت قدمي .

٤٢

— حسنا يا مستر (فرانك) .. سأفعل .
ثم وضع سماعة الهاتف ، والفتت إلى (أدهم)
و (منى) ، وقال في بطة :
— إنهما يريدونكما في إدارة شئون الأجانب يا مستر
(أدهم) ، ويا مس (منى) .
مال (أدهم) إلى الأمام ، وسأله في صرامة :
— قل لي أيها المفتش .. ماذا كنتم ستفعلون بنا لو أننا نحن
من أطلق النار ؟

تجاهل المفتش سؤال (أدهم) ، والفتت من درج مكتبه
زوجين من الأغلال ، لئلا يحيا أمام وجهه ، وهو يقول في
برود :
— ربما كان القانون هنا سخيفا يا مستر (أدهم) ،
ولكننا نحترمه ، وأنا مضطر لوضع الأغلال في معصيكما حتى
نصل إلى إدارة شئون الأجانب .
عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول .
— إنني أختلف معك أيها المفتش ، فقانونكم ليس
سخيفا .. إنه مقزز .
مر المفتش كفيف في لامبالاة ، وهو يقول في هدوء :

— ولكنه القانون يا مستر (أدهم) .
لم يقاوم (أدهم) ، ولم تقارم (منى) والمفتش يحيط
معصيهما بالأغلال ، ولكن (أدهم) خدجه بنظرة باردة
صارمة بعد أن اتبى ، وقال له في لهجة تقطر بالحزم والغضب :
— ستدفع ثمن ذلك غاليا أيها المفتش .
ابتسم المفتش في سخرية ، وهو يقول في برود :
— لا تتعجل الأحداث يا مستر (صبرى) .. هناك
بال تأكيد من سيدفع ثمن حماقاته هذه الليلة .. لا تتعجل ..

انطلقت سيارة الشرطة بقودها شرطى مفتول العضلات ،
ترسم على شفتيه ابتسامة ساخرة مقبحة ، وإلى جواره جلس
المفتش (ماني) ، مصوبا مسدسه إلى (أدهم) و (منى) ،
الذين يجلسان في المقعد الخلفي ، ومضت بضع دقائق والسيارة
تنطلق وسط عمرات جبلية مظلمة ، قبل أن يقول (أدهم) في
سخرية :
— هل تضعون إدارة شئون الأجانب في قلب الجبل ؟
ضابت عينا المفتش (ماني) ، وارتسمت على شفتيه
ابتسامة ساخرة ، وهو يغمغم :

ولم تكتمل عبارة المفتش (ماني) ، ففعل الرغم من الأغلال
التي تطوق معصيه ، تحول (أدهم صبرى) فجأة إلى
عاصفة ..
عاصفة لا ترحم الأعداء ..



— هذا أفضل موقع وجدناه يا مستر (أدهم) .
ثم أشار إلى الشرطى الذى يقود السيارة ، قائلا :
— توقف هنا يا (چان) . فلقد امتلأ قلب السيد بالملل .
أوقف (چان) السيارة وهو يتسهم في سخرية وشماته ،
وسد (ماني) مسدسه إلى رأس (أدهم) ، وهو يقول :
— هيا أيها السيدان ، ستغادر السيارة كالأطفال الطيبين .
عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :
— هل وصلنا إلى إدارة شئون الأجانب أيها الوغد ؟
صاح المفتش في صرامة :
— غادرا السيارة .

غادر (أدهم) و (منى) السيارة في هدوء ، وتبعهما
المفتش (ماني) ، وهو يصوب إليهما مسدسه ، ثم هبط
(چان) وهو يحتفظ بابتسامته الساخرة الشامتة ، وأخرج
مسدسه ، واشترك مع رئيسه في تصويبه إلى رأس (أدهم)
و (منى) ، في حين قال المفتش في سخرية :
— هنا تنتهى الرحلة أيها السيدان .. سنقتلكما كما أمر السيد
(فرانك جوردان) .

إننا هنا نحب تنفيذ أوامره ، وتحقيق رغباته ، ما دام يدفع
الثلثين و ...



انقضّ (أدهم) على (ماني) كالصاعقة، وضَمَ قبضته لبيّريّ جِما على فُكِّ هذا الأخير كالقنبلة، ثم بركل مسدّسه بقدمه في الثانية ذاتها ..

كان المقتش (ماني) والشرطي (جان) مطمئنين تماماً إلى أن أسيرهما لن يستطيعا مقاومتها أبداً ، فهما وحدهما يحملان الأسلحة ، وهما وحدهما مطلقا السراح ، لا تقيّد الأغلال الحديدية معصبيهما ، فلم يأذّر بخلداهما مطلقاً أن عدم التكافؤ في هذا الأمر يعود فقط إلى أنهما يواجهان (أدهم) و (منى) وحدهما ..

ففى لمح البصر ، وقبل أن يدرك أحدهما ما يحدث ، انقضّ (أدهم) على (ماني) كالصاعقة ، وضَمَ قبضته لبيّريّ جِما على فُكِّ هذا الأخير كالقنبلة ، ثم بركل مسدّسه بقدمه في الثانية ذاتها ..

وتراجع (جان) في دهول ، وهو يصوّب مسدّسه إلى رأس (أدهم) ، ورأى مسدّس رئيسه يطير في الهواء إثر ركلة (أدهم) ، ورأى - وهو يشهق في دهشة - (منى) وهي تقفز في رشاقة ، وتلتقط المسدّس بكفّيه المضمومتين ، ثم يهبط على قدميها ، وتطلق النار ..

وطار مسدّس (جان) بعد أن أصابته رصاصة (منى) ،

— مفاتيح الأغلال .. ابحت في جيوبه عن مفاتيح الأغلال .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وعالج أغلاله في سرعة ومهارة ، ثم لم يلبث أن انتزعها من حول معصيه ، وألقى بها خلف ظهره وهو يقول :

— لا داعي يا عزيزي ، هاهي ذى الأغلال .

ابتسمت (منى) في إعجاب ، وهي تقول في هدوء :

— لا فائدة يا (أدهم) .. إنك تصرّ في كل مرّة على إثارة دهشتي بiraعة من نوع جديد .

بادأها (أدهم) الابتسام ، وقال في لهجة مداعبة :

— بل أنت التي أثرت دهشتي يا عزيزي (منى) .. لقد ازدادت خبرتك كثيراً في الآونة الأخيرة .

ابتسمت في خجل ، وهي تغمغم :

— لتليدتك يا (رجل المستحيل) .

عالج (أدهم) أغلالها في مهارة ، حتى انتزعها من حول معصيه ، ثم قال في هدوء يندّر بالخطر :

— والآن هيّا بنا يا (منى) ، فما دمنا قد قاتلنا شرطة (هاواي) على هذا النحو البافر ، فلم يُعدّ أمامنا إلا الإسراع

وتراجع هو في مزيج من الدهول والذعر ، وابتسعت عيناه لحظة قبل أن يجذبه (أدهم) من سترته الرسمية في قسوة وخشونة ، وهو يقول في لهجة صارمة ، جمدت الدم في عروق (جان) : — من هو (فرانك جوردان) هذا الذي أمركا بقتلنا ؟ كان (جان) يأمل أن يحتفظ بالسّر ، وألا يوح به أبداً ، ولكن ذهنه استعاد في جزء من الثانية مشهد النقضاضة (أدهم) ، وقبضته التي حطمت فُكِّ رئيسه ، ومشهد (منى) التي قفزت والتقطت المسدّس ، وأطلقت عليه في مهارة وإحكام ، ونقل بصره في دُعر بين (ماني) الفاقد الوعي ، الغارق في دماثه ، وفوهة مسدّس (منى) المصوّب نحوه ، ثم هتف في لهجة هي الضراعة بعينها :

— مستر (فرانك جوردان) هو أقوى رجل في (هاواي) كلها ... لا أحد هنا يجمله .

حدّق (أدهم) في وجهه لحظة في صرامة ، ثم ابتسم في سخرية ، وهو يقول :

— حسناً أيها الوغد .. ما دام كل إنسان في (هاواي) يعلم من هو (فرانك جوردان) فلا حاجة بنا إليك .

وكان له لكمة قويّة ألحقته بزميله في غيبوبته العميقة ، فهتفت (منى) :

بافتحام وكر (سونيا جراهام) ، وصديقها (فرانك)
جوردان) ، قبل أن تحسر كل شيء .
ثم أودف في توتر واضح :
— وقبل أن تحسر عزيزنا (قدرى) .

تحرك (فرانك) في عvisية واضحة حول المضدة التي
تحمل هاتفه الخاص ، وظل يرمقه بنظرات غاضبة وهو يدور
حوله ، وكأنما يعلن بنظراته استيائه من صمت الهاتف الطويل
ثم لم يلبث أن اختطف قوسه ، ورشق فيه واحدًا من أسهمه ،
وجذب الوتر في حدة ، وأطلق سهمه ليستقر في مركز الهدف
الدائري تمامًا ، ثملقى القوس في غضب ، وهو يتف سخطًا :
— ماذا أصاب (ماني) اللعين ؟.. لقد أمرته أن يتصل في
فور انتهائه من قتل ذلك المصري وزميله ، ولا أظن هذا
يستغرق كل ذلك الوقت .
نفثت (سونيا) دخان سيجارتها في هدوء ، وفردت كفها
أمام عينها تتأمل أظفارها الطويلة في عناية ، بلون قرمزي
داكن ، قبل أن تقول في برود :

٥٢

— لا أخذه يستطيع يا عزيزي (فرانك) ، فلا ريب أنه
يرقد الآن بألف مهشم ، وأنتان مكسورة ، في نفس المكان
الذي طلبت منه التخلص من (أدهم صبري) فيه .
التفت إليها (فرانك) في غضب ، وعقد حاجبيه في شدة ،
وهو يتف محققًا :

— في أي جانب أنت يا (سونيا) ؟.. أتسعين للتخلص
من غريمك ، أم لتعطيم معنوياتي وثقتي بنفسى ؟
ابتسمت (سونيا) في خبث ، وهي تقول في دلال
مصطنع :

— إننى أسعى لقتل (أدهم صبري) بالطبع يا عزيزي
(فرانك) ، ولكنك تصرّ على إفساد الأمر بتدخلك ،
متجاهلاً أننى أكثر خبرة بوسائل ذلك الشيطان وقدراته .
لوح (فرانك) بذراعه في غضب ، وهو يقول :
— إذن فأنت تترضين أن رجلك الحارق هذا قد نجا من
الموت ، بل إنه قد هزم (ماني) وذخره أيضًا !
هزت (سونيا) كتفها في هدوء ، وهي تقول :
— بالطبع يا عزيزي (فرانك) .
صاح في عvisية :

٥٣

— كيف تتوقعين إحراز النصر على خصم بكل هذه القوة

إذن ؟

ابتسمت في برود ، وهي تشير إلى رأسها قائلة :
— بهذا يا (فرانك) .. بالكفاءة وليس بالقوة .
صمت لحظة وهو يخبذجها بنظرة نارية ، ثم عاد يلوح
بذراعه ، قائلاً في حدة :

— وماذا سيفعل ذكاؤك إزاء هذا الشيطان ؟

ابتسمت في خبث ، وهي تقول :

— لقد فعل بالفعل يا عزيزي (فرانك) .

عقد حاجبيه وهو يسأها في سخط :

— فعل !؟.. ماذا فعل بالضبط ؟

استرخت في مجلسها ، ووضعت إحدى ساقيها فوق
الأخرى ، على نحو منحها مظهرًا غامضًا شديد الجاذبية
والإغراء ، ونفثت دخان سيجارتها وهي تقول في هدوء :
— لقد كنت أتوقع أن يهزم (أدهم) رجلك ، وأن يجبر
أحدهما أو كليهما على الاعتراف بأنك من طلب قتله .

غمغم (فرانك) في خنق :

— لن ينطق (ماني) أو (جان) بكلمة واحدة .

٥٤

ابتسمت في خبث وسخرية ، واستطردت متجاهلة
تعليقه :

— وبعدها سيبحث عن مسكنك . ويسعى جاهداً
لاقتحامه ، وأعتقد أن ذلك سيكون في هيئة المفتش (ماني) .
هتف (فرانك) في استكار :

— هذا مستحيل !!

تجاهلته (سونيا) مرة أخرى ، وهي تردف في ذلك المزج
من الخبث والسخرية :

— ولكنك يتكبر في هيئة (ماني) ، عليه أن يذهب إلى
مكان آمن ، أو يستأجر منزلاً على شاطئ البحر ، ولا بد له من
أن يترك زميلته السفينة هناك ويأق بمفرده .

عاد (فرانك) يقاطعها في حدة :

— هذا مستحيل !! إننى لن أخطئ (ماني) أبداً .

هزت قدمها في سخرية واستهتار ، وهي تقول في برود :

— هل تراهن على ذلك ؟

لم تكذب عبارتها ، حتى ذلف أحد رجال (فرانك) إلى
الحجرة ، وقال لزعيمه في احترام :

— المفتش (ماني) يرغب في مقابلتك ياسيدى .

٥٥

٧ — رصاصة في الرأس ..

لم يستطع (فرانك جوردان) إخفاء تلك النظرة الفاحصة ، التي تطلع بها إلى (ماني) وهو يدلف إلى حجراته بوجهه فقطئ بالضمادات ، ولا نبرة الشك التي سرت في صوته ، وهو يقول في لهجة جافة خشنة :

— ما الذي أتى بك في مثل هذا الوقت المتأخر ؟ .. ولماذا لم تتصل هاتفياً كما اتفقنا ؟

تردد (ماني) لحظة ، وهو يختلس النظر إلى (سونيا) ، التي اتصمت في غيب وسخرية ، وهي تطلع إليه ، فصاح به (فرانك) في جذوة :

— أجب عن سؤالي .. إن السيدة تعلم كل شيء .

كان هذا القول الأخير يكفي ليتقلب (ماني) على ترذده ، ويلوح بذراعيه في انفعال ، قائلاً :

— لقد قرّر الرجل والفتاة يا مستر (فرانك) .. لقد كنا نكيلهما بالأغلال ، ولكن ذلك الشيطان باعنا بانقضاة عاصفة مذهلة ، وحطم وجهي بقبضة فولاذية قبل أن أتمرك قيد أنملة ، وهشم وجه (جان) و

ارتجف جسد (فرانك) ، وهو يلتفت إلى (سونيا) في دهشة ، في حين برقت عيناها في شراسة ، وأخرجت مسدسها من حقيبتها الصغيرة في سرعة ، وتأكدت من حشو خزائنه بالرصاصات ، قبل أن تقول في انفعال شديد :

— ألم أقل لك يا (فرانك) ؟ .. ها هو ذا (أدهم صبري) قد جاء .. جاء إلى حقه باطفي العزيز .



قاطعه (فرانك) في جذوة وضامة :

— إنك لم تجب عن سؤالتي بعد .

ارتبك (ماني) وهو يقول :

— ولكنني أتيت من أجل هذا يا مستر (فرانك) ، ولقد أردت أن أريك وجهي المخطم ، خشية ألا تصدقني .

التقى حاجبا (فرانك) في شك ، وألقى نظرة مترددة على (سونيا) ، التي قابلته بابتسامة ساخرة ، وكأنها تؤكد له صدق حديثها ، فاقرب من (ماني) ، الذي ارتجف على نحو واضح ، وانحنى بتفرس ملامحه في إمعان ، فغمغم (ماني) في ارتباك :

— ماذا هناك يا مستر (فرانك) ؟

سأله (فرانك) بغتة :

— لماذا تخفي الجزء الأكبر من ملامحك خلف هذه الضمادات يا (ماني) ؟

هتف (ماني) في دهشة :

— أخفيا ؟؟

ثم استطرد في جزع :

— إنني لا أخفي شيئاً يا مستر (فرانك) .. لقد ضمدت الأجزاء المخطمة من أنفي وجانب وجهي فحسب .

ازداد انعقاد حاجبي (فرانك) في مزيج من الشك والخيرة ، وهو يغمغم :

— ولكن هذا مستحيل .

ثم أدار عينيه إلى (سونيا) ، التي عقدت حاجبها بدورها ، ونهضت من مقعدها لتسير لبضع إلى ما خلف (ماني) ، الذي انتقلت إليه الخيرة والشك ، وامتزجا بتوثره وهو يكرر عبارته :

— ماذا هناك يا مستر (فرانك) ؟

وفي حركة بطيئة ، وبانفعال شديد ، رفعت (سونيا) مسدسها ، وهي تمد ذراعها عن آخره ، وصوبته إلى رأس (ماني) من الخلف ، ثم هتفت فجأة :

— فليسجل التاريخ هذه اللحظة .. لحظة إعدامك يا (أدهم صبري) .

التفت (ماني) في سرعة نحوها ، واتصت عيناها لحظة وهو يحاول القفز جانباً ، إلا أن رصاصة (سونيا) انطلقت بسرعة ، ورأى (فرانك) رأس (ماني) يتشطم ، وتتأثر منه الدماء ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

مصنط لحظة و (فرانك) يجذق في جنة (ماني) يذهول ،
قبل أن يدبر عينيه إلى (سونيا) ، ويصرخ في وجهها غاضباً :
— ماذا قلت أيتها اللعينة ؟ .. إنه أفضل رجالي في المنطقة .
تألفت عينا (سونيا) ، وهي تشعل سيجارها بأصابع
مرتجة ، وقالت في انفعال :
— أما زلت تصرّ على أنه (ماني) ؟ .. خطأ يا عزيزي
(فرانك) .. هذا الرجل الذي قتلته هو خصمي اللدود
(أدهم صبرى) .
صاح (فرانك) في خنق :
— أعطأت يا (سونيا) .. هذا القليل هو المفتش
(ماني) .. إننى لا أعطى أبداً صوته وملاحه .
أطلقت (سونيا) ضحكة عصبية ساخرة ، وأشارت إلى
الجنة بستانها ، قائلة :
— صوته وملاحه ؟ .. إن (أدهم صبرى) يمتلك
سحرة مذهلة يا (فرانك) ، ويمكنه تقليد حتى صوت خريز
الماء ، أما بالنسبة للملاح فهو أستاذ في فن التكر ، يكاد يتفوق
على الخريز نفسه .. أراهنك أن هذه الملاح مجرد قناع من
البولي إيثيلين الرقيق ، ويمكنك انتزاعه بسهولة .
تردّد (فرانك) لحظة ، وهو يتطلّع إلى جنة (ماني) ، ثم انحنى

نحوها ، وجذب بشرة الوجه في رفق ، ثم اتسعت عيناه ، وهو
يتف في سخط :
— أينها العسة .. إنه (ماني) .. لقد قلت أفضل
رجالي .
ارتجف جسد (سونيا) ، وارتعد صوتها في انفعال ، وهي
تقول :
— مستحيل .. حاول مرة ثانية .. لا ريب أن هذا
الشیطان قد استخدم رسالة جديدة للتكر .. أو أنه
تحولت ارتجافها إلى انتفاضة دُعر قوية ، حينما جاء من خلفها
صوت ساحر هادئ يقول :
— ولكنّها الحقيقة يا عزيزي (سونيا) .. هذا الرجل ليس
أنا .. فأنا أقف خلفك .
وكادت (سونيا) تسقط منهارة ، واتسعت عينا
(فرانك) في دُعر ، حينما وقع بصراهما على وجه (أدهم) ،
الذى يتسم في سخرية ، ويصوب إليهما مسدسه في استنار ..

ترقرقت دموع القهر في عيني (سونيا) ، وهي تغغم في
اتنهار :

— لقد خدعتنى .. لقد خدعتنى مرّة أخرى .
ابسم (أدهم) في سخرية ، وهزّ كفيه في لامبالاة ، وهو
يقول :
— ليس من المفروض أن يزعلك هذا يا عزيزي ، فهذا
ما اعتدناه في قتالنا .
أعادت كلماته إلى (سونيا) غضبها ، فهتفت في خنق :
— ولكنك لن تنصّر هذه المرّة يا (أدهم) .. لن تسترجع
رفيقك البدين أبداً .
هزّ (أدهم) كفيه مرة أخرى ، وقال :
— كما تشائين يا عزيزي (سونيا) .
ثم أزدف في صرامة ، وهو يصوب إليها مسدسه :
— ولكننى سأعرض عليك مبادلة أخرى .. حياة
(قدرى) مقابل حياتك .
ظلّ (فرانك) يتقلّب بصره بين وجهي (سونيا)
و (أدهم) دون أن يتيسر ببنت شفة ، في حين عقدت
(سونيا) ساعديها أمام صدرها في تحدّ ، وهي تقول في
صرامة :
— إنك لن تطلق النار علىّ يا (أدهم) .. ليس من طبيعتك

أن تطلق النار على امرأة ، وخاصّة إذا ما كانت لا تحمل
سلاحاً .
عاد (أدهم) يهزّ كفيه في لامبالاة ، وهو يقول في
سخرية :
— للضرورة أحكام يا عزيزي ، وأنت التي تضطريننى
للتنخلى عن بعض مبادئ .
قالت في جدّة :
— فلتعلم إذن أن رجال (فرانك) سيطلقون النار
بلا تردّد على رأس زميلك البدين ، إذا ما أصابنا مكروه .
أجابها (أدهم) في برود :
— سيكون عليهم حينئذ دفن ثلاث جثث يا عزيزي .
تدخل (فرانك) في الحديث لأول مرّة ، قائلاً في توكر :
— سأدفع ثمن حياتي يا مستر (صبرى) .. سأفدى
عمرى بمليون دولار .
ابسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :
— رائع .. وكَم تساوى حياة عزيزتنا (سونيا) في
تقديرك ؟



هفت (سونيا) في خنق :

— يا لك من جبان غبي !! إنك تتحدث إلى رجل لا يبالى بملاييك اللعينة ..

(م — رجل المسجل (٥٨) إعدام بطل)

ألقى (فرانك) نظرة سريعة على (سونيا) ، ثم عاد يقول لي عصبية :

— إننى أتحدث عن حياتى أنا يا مسخر (صبرى) ، وسأرفع المبلغ إلى مليون ونصف المليون .

هفت (سونيا) في خنق :

— يالك من جبان غبي !! إنك تتحدث إلى رجل لا يبالى بملاييك اللعينة ..

ثم أردفت في صرامة :

— إنه لا يخسر معاركه من أجل المال .

ابسم (أدهم) ، وهو يقول في سخرية :

— من الطريف أن يفهم كل منا الآخر على هذا النحو يا عزيزى (سونيا) .

تألفت عينا (سونيا) ببريق عجيب ، وهى تقول :

— بالطبع يا (أدهم) .. إننى أفهمك كما لمن يمكنك أن

تصور .

ثم رفعت ساعة يدها إلى فمها ، وظلت ترمق (أدهم) بتلك النظرات العجيبة ، وهى تقول غير لاسلكى صغير في الساعة :

عادت (سونيا) ترفع ساعة يدها وتدنيا من فمها ، وهى تقول في هدوء :

— أطلقى سراح الفتاة حينما أبلغك باستسلام صديقنا (أدهم) يا (راشيل) .

ثم علفت معصمها ، وهى تقول في صرامة :

— ليس لدى ضمانات أخرى يا عزيزى (أدهم) .

ظهر الغضب على وجه (أدهم) لحظة ، ثم ألقى مسدسه إلى ركن الحجرة في خنق ، وهو يقول :

— حسنا يا (سونيا) .. أنا أستسلم .

تهتد (فرانك) في ارتياح ، في حين تألفت عينا (سونيا) في وحشية ، وهى تقول :

— لقد ظفرت بك أخيرا يا (أدهم صبرى) .. ظفرت بك أخيرا .

وأطلقت ضحكة وحشية ظافرة ، لا تتوافق قط مع جمالها ورقتها ..

— (راشيل) .. اثبتى لصديقنا (أدهم صبرى) أننا نفهمه جيدا ..

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يتساءل عن الخدعة التى تحاول (سونيا) إحكامها ، وقبضت أصابعه على مقبض

مسدسه في حذر ، ولكن صدره لم يلبث أن تمحّل إلى مزيج من الدهشة والحنق والجزع ، حينما ارتفع صوت زميله (منى) ،

غير مكبر صوت في الحجرة ، وهى تقول في اضطراب :

— (أدهم) .. إنه أنا .. (منى) .. لقد فاجأني هؤلاء الأوغاد ، ونجحوا في القبض على .. وهناك لقاة تقول إنها

ستطلق النار على رأسى ما لم تستسلم ، ولكن لا تستمع إليها يا (أدهم) .. لا تستسلم .. أرجوك .

توقف الصوت فجأة ، وأطل غضب هائل من عيني (أدهم) ، وهو يقول :

— لو من أحدكم شعرة واحدة من رأسها ، فسأقتلكم جميعا .

ابتسمت (سونيا) في سخرية ، وقالت :

— مسدسك أولا يا سيد (أدهم) .. إنك لن تضيق بزميلك الحبيبة .. أليس كذلك ؟

تردد (أدهم) لحظة ، ثم عاد يسأله في صرامة :

— وما الذى يضمن لى أن استسلمى سينقذها من وحشيتك ؟

٨ — الخدعة الكبرى ..

تحرّكت (سونيا) في هدوء نحو الركن الذى ألقى فيه (أدهم) مسدسه ، وانقطعت في سرعة ، وعادت تصوّبه إلى (أدهم) في الأفعال وظفر ، في حين ألقى (فرانك) جسده فوق أقرب مقعد إليه ، وهو يتف في مزيج من الدهشة والفرح :

— كيف فعلت هذا يا أميرتى ؟.. كيف نجحت في التوصل إلى غلب الفتاة واقتصاصها ؟

ابتسمت (سونيا) ابتسامة فخر مأكرة ، في حين سألتها (أدهم) في برود :

— نعم أيتها الأفعى .. كيف فعلت ذلك ؟

أطلقت (سونيا) ضحكة ساخرة عالية ، وقالت :

— سيداهلك أن تعرف الجواب يا عزيزى (أدهم) .

ثم استطردت في صوت مرتفع :

— ادخل يا عزيزى (راشيل) .. لقد انتهى كل شيء .

ثم يحاول (أدهم) الالتفات خلفه حيناً فتحت (راشيل) الباب ، وسع صوت خطواتها وهى تقترب منه ، ولكنه التفت

٦٨

في حركة حاذة ، تشوبها الدهشة ، حيناً قالت (راشيل) في هدوء ، وبلهجة مصرية حالصة :

— في خدمتك يا (سونيا) .

اتسعت عينا (أدهم) في دهشة ، وهو يحدّق في وجه (راشيل) الجميل ، وشعرها الأشقر وعينها الزرقاوين ، ثم لم يلبث أن غمغم في سخرية :

— خدعة مأكرة هذه المرأة يا عزيزى (سونيا) .

ابتسمت (راشيل) في برود ، في حين عادت (سونيا) تطلق ضحكها الساخرة ، قبل أن تقول :

— هل رأيت كيف يشبه صوت عزيزى (راشيل) صوت صديقك (منى) تماماً ؟.. لقد أدهشتني ذلك أيضاً حيناً

انضمت (راشيل) لخابراتنا ، ولكننى لم أفكر في استغلال ذلك من قبل .

تبادلت (سونيا) نظرة ظافرة مع (راشيل) ، واختلست النظر إلى الدهشة المرتسمة على وجه (فرانك) ، ثم استطردت في هدوء :

— ولكننى قرّرت هذه المرأة أن أتخذ كل أسباب الحيلة والحذر ، حتى أضمن النصر عليك يا عزيزى (أدهم) ، ولقد

فكرت في الاستعانة بـ (راشيل) في لحظة احتياطية للطوارئ .. ولقد أفادنى ذلك كما ترى ، فحيناً أصر

٦٩

— بالطبع أيتها الأفعى .. إنها لحظة مأكرة شيطانية ، ولكنك نسيت نقطة واحدة .

عقدت حاجبها في صرامة ، وهى تقول في جدّة :

— إننى لم أنس آية نقطة .

هز كتفيه في برود ، وهو يقول :

— بالعكس يا عزيزى (سونيا) .. لقد نسيت أهم نقطة .

هتفت في عصبية :

— أتحدّك .

ابتسم في سخرية ، وهو يقول :

— لقد قبلت التحدى يا عزيزى (سونيا) .. فقد نسيت

أنت أن اطمئننى إلى وجود (منى) في مكان آمن يذلل كل شيء .

حدّق الجميع في وجهه بدهشة ، وكانت (سونيا) هى أول من أدرك ما يعنيه ، فقفزت بمحاولة الابتعاد عنه في سرعة ، وهى

ترفع مسدسها إلى وجهه ..

ولكن هيات .. لقد تحرّك (رجل المستحيل) ..

٧١

(فرانك) على التخلص منك بوسائله ، كنت أعلم أنه سيفشل ، كما كنت أعلم أنك ستصل إلى هنا بعد أن تتغلب على رجاله ، وتجبر أحدهم على الاعتراف ، ولقد قدّرت أنك ستأتى وحدك ، وسترك زميلك في مكان آمن لتجنبها المخاطر كما أدركت ، واتفقت مع (راشيل) على أداء دورها ، ولتعلم أننا بدلنا جهداً فائقاً طيلة شهر كامل ، حتى يمكن لـ (راشيل) أن تتحدّث بنفس أسلوب زميلك ، وحيناً أخبرتها — غير اللاسلكي في ساعتى — بوجودك ، أسرعتم تحلّل الدور الذى تدرّبت عليه طويلاً .

ثم ابتسمت في غرور ، قبل أن تردف :

— ولا ريب أنك تعرف بذكافى في اختيار الكلمات ، فأنا لم أجعل (راشيل) تطلب منك الاستسلام ، وإلا فهمت على الفور أنها ليست زميلك ، وإنما طلبت منها أن تشرح لك خطورة موقفها وحرجه ، ثم تطالبك بعدم الاستسلام ، وأنا واثقة من أنك لن تضخّى بها أبداً .

واقتربت منه في تحدّ ، وهى تقول :

— ألا تعرف بأنها لحظة بارعة ؟

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

٧٠



ثم دار على عقبه في سرعة مذهلة ، وصفع (راشيل) صفة قوية ،
ألقها أرضاً وهي تصرخ من الألم والمفاجأة ..

تبذل الموقف كله في لحظة واحدة ..
لقد تحركت قدم (أدهم) كالقنبلة ، لتكمل المسدس الذي
تمسك به (سونيا) ، ثم دار على عقبه في سرعة مذهلة ، وصفع
(راشيل) صفة قوية ، ألقها أرضاً وهي تصرخ من الألم
والمفاجأة ، ولقز في رشاقة ومرونة ، لينتقط مسدس (سونيا)
في الهواء ..

ولكن المسدس ابتعد فجأة ، وبسرعة ..
ابتعد حينما أصابه سهم قوي ، دفع به إلى نهاية الحجرة ..
وهبط (أدهم) على قدميه ، وعقد حاجبيه وهو يتطلع إلى
(فرانك) ، الذي جذب وتر قوسه مرة أخرى ، وسدد سهمه
الثاني إلى قلب (أدهم) ، وهو يتف في صرامة :
— لقد رأيت عينة من براعتي في هذا المضمار أيها المصري ،
وسأعرس سهمي الثاني في قلبك ، لو بدرت منك حركة
واحدة .

اعتدل (أدهم) في هدوء ، واتسم في سخرية ، وهو
يقول :

— هل غدنا إلى عصر (روبن هود) ؟
لم يكذبهم عبارته ، حتى اندفع أربعة من رجال (فرانك)

أجابه (فرانك) في هدوء :

— دُعُ لي يا (برنارد) .

ثم التفت إلى (أدهم) ، مستطرداً في هدوء :

— هل تعلم ماذا سيحدث عندما أركض سيأتي
ووسطاي ، اللذين يجذبان وتر القوس ؟ .. سيولد الوتر في قوة ،
دافعاً ذلك السهم ذا الرأس المدبب الحاد ، ليستقر في أعماق
قلبك .

غمغم (أدهم) في سخرية :

— لا أظن أنني أحتاج إلى سماع محاضرة عن فن استخدام
القوس والشباب أيها الوغد .

تجاهل (فرانك) سخرية (أدهم) ، وهو يستطرد في
برود :

— وأنت تعلم طبعاً أن إصابة الهدف المتحرك تكون أكثر
صعوبة من إصابة الهدف الثابت ، وعلى الرغم من ذلك فأنا
أشعر بمزيد من المتعة ، عند نجاحي في إصابة هدف متحرك .

عاد (أدهم) يغمغم في سخرية :

— إنها متعة اللذيق .

مرة أخرى تجاهل (فرانك) سخرية (أدهم) ، مردداً :

داخل الحجرة ، وصوبوا مسدساتهم نحو (أدهم) ، وهم
ينقلون أبصارهم في خيرة بينه وبين زعيمهم ، انتظارا لأوامره ،
في حين هفت (سونيا) في انفعال :

— اقلبه يا (فرانك) .. اقلبه بلا تردد .

هتف بها (فرانك) في صرامة :

— صَ يا (سونيا) .. لقد حاولت أنتِ وفشلت ..

اتركني أعالج الأمور بطريقي إذن .

صاحت (سونيا) في غضب :

— لا تكرر حقايات الآخرين .. اقلبه قبل أن تصيح

الفرصة .

صاح (فرانك) في صرامة :

— صَ يا (سونيا) .

أطبقت (سونيا) شفتيها في غضب ، وهي تقيض كفها في

عصية ، في حين اتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— استمع إلى نصيحتي أيها الوغد .

حدهج (فرانك) بنظرة باردة ، في حين غمغم أحد رجاله

في توتر :

— هل أطلق النار على رأسه أيها الزعيم ؟

٩ - أسرع من السهم ..

لن نضيع الوقت في محاولة تفسير ما حدث هذه المرة ، ولا في شرح علاقة ذلك بعلم وظائف الأعضاء ، أو متوسط سرعة ردود الأفعال ، وإنما سنكتفى بوصف ما حدث ، وفي ذلك الكفاية ..

لقد ارتدّ الوتر بالفعل ، ودفع السهم نحو قلب (أدهم) في مهارة مذهلة ، ولكن (أدهم) تحرك في سرعة بدت في أعين الجميع خرافية ، وفي مرونة ورشاقة جعلتا خصومه يتراجعون في دُعر وذهول ، فقد انحنى (أدهم) ، وانثنى ، ومال إلى اليمين ، ودار حول نفسه ، كما لو كان مشهداً من فيلم يدور بأقصى سرعته ، وابتعد عن طريق السهم الذي ارتطم بالباب الخشبي في نهاية الحجر ، متجاوزاً جسده ، ثم ارتفعت قدمه في سرعة مذهلة ، لتشكل مسدس أحد الرجال الأربعة ، واندفعت قبضته بهشم فك الثاني ، وغاصت قدمه الأخرى في معدة الثالث ، وحطمت قبضته الثانية أنف الرابع ، ثم حمل الأول في قوة وبساطة ، كما لو كان وزن كيلوجراماً واحداً ، وألقاه نحو (فرانك) ، لينجعه من التقاط سهم آخر ..

— وسأمنحك فرصة نادراً ما أمتحها لطريقتي أيها المصري .. سأمنحك لك أن تبدأ بالتحرك ، قبل أن أطلق أنا سهمي ..

اتسعت عينا (سونيا) ، وهي تهبط في خنق :
— كلاً يا (فرانك) .. سترتكب أبشع أخطاء حياتك لو أنك منحت هذه الفرصة ..

ابتسم (فرانك) في سخرية ، وقال في غرور :
— إنني لا أعطى هدفي أبداً يا أميري ، وحتى لو افترضنا حدوث هذا — مع استحالة — فسيطلق رجال النار عليه على الفور ..

وجذب وتر قوسه ، وهو يستطرد في ثقة وغطرسة :
— لا أمل لشيطانك هذا في النجاة يا أميري ..

ثم أشار إلى (أدهم) ، قائلاً :

— هيا .. تحرك ..

وتحرك (أدهم) ، وانطلق السهم القاتل ..

نهض (فرانك) في ببطء ، ولوّح بكفه في وجه (أدهم) ، وهو يقول في دُعر :

— مستر (صيري) .. مازال عرضي سارياً .. سأدفع مليوناً ونصف المليون من الدولارات في مقابل حياتي ..

ابتسم (أدهم) في سخرية ، في حين هتفت (سونيا) في غضب :

— ألا تتعلم من أخطائك أبداً أيها الغبي؟

ثم استطردت في سخط ، وهي تدير عينيها إلى حيث يقف (أدهم) :

— ثم إننا لم نفقد كل الأوراق بعد .. مازلنا نحفظ بصديقه البدين ..

هز (أدهم) كفيه في لامبالاة ، وقال في سخرية :

— أعقد أنه بات من الواضح يا عزيزتي (سونيا) ، أن (فرانك جوردان) لن يتردد لحظة واحدة في الاعتراف بمكان (قدرى) ، وإلا أطلقت النار على رأسه ..

هتف (فرانك) في دُعر :

— ولكنني لا أعرف مكانه .. أقسم لك ..

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

وسقط (فرانك) أرضاً تحت ثقل الرجل الذي ارتطم به ، وأسرع (راشيل) تحاول التقاط مسدسها ، في حين قفزت (سونيا) إلى المسدس الملقى أرضاً ، وحاولت التقاطه قبل أن يصل إليه (أدهم) ..

وقفز (أدهم) إلى الخلف ، وركل مسدس (راشيل) ، فأطاح به بعيداً ، وصفعها مرة أخرى ليلقيها جانباً ، ثم انتزع السهم المغروز في الباب الخشبي ، وألقاه في مهارة نحو (سونيا) ، لينغرز إلى جوار المسدس الذي كادت تلتقطه ثغماً ..

وأسرع (فرانك) بهض ، وحاول أن يلتقط قوسه مرة أخرى ، ولكن (أدهم) أوقفه حيناً قال في صرامة :

— هل تفضل أن تفقد يدك ؟

تصلبت يد (فرانك) في مكانها ، وتفجرت دموع الفهر من عيني (سونيا) ، فقد كان (أدهم) يصوب إلى الجميع مسدساً ، النقطه من بين أجساد رجال (فرانك) الذين فقدوا الوعي ، ويستطرد في صرامة وسخرية :

— لقد خسرت هذه الجولة أيها السادة ..

— محاولة خداع فاشلة أيها الوغد .. ستخبرني أين
(قدرى) أو ...

قاطعه (سونيا) فى جِدَّة :

— إنه لا يعلم بالفعل .. أنا وحيد أعلم أين زميلك
البدن .

أدار (أدهم) قُوَّة مسدسة إلى رأسها ، وهو يقول فى
غضب حازم :

— حسنًا يا (سونيا) .. سنعود إلى عرضي الأول ..
حياتك مقابل حياتي .

لُوحت بذراعها فى صرامة وعناد ، وهى تقول :

— محال .. اقبلنى لو أردت ، ولكننى لن أسمح لك بهزيمتى
هذه المرة أبدًا .

ثم اندفعت تستطرد فى عصبية :

— إن صديقك البدن مسجون فى مكان سرِّى لا يعلمه
سواى ، والحراس الخمسة الذين يتبادلون حراسته ، والقبر
الذى احتفظ به فيه ملفوم بعدد من القنابل الشديدة التفجير ،
ولدى الحراس الأربعة أمر يقتل زميلك البدن فور شعورهم
بالخطر ، وغير مسموح لأى كائن من كان برؤيته سواى ، وبعد أن

٨٠

أخبرهم بعبارة سرِّية خاصة ، وعلى أن أتصل بهم كل ساعة .
والأقلوه بلا رحمة .

وأطلقت ضحكة عصبية ، قبل أن تردف فى تشف :

— إننى لم أترك لك ثغرة واحدة للوصول إليه أيها
الشیطان ، ولن أتركه إلا بالشرط الذى سبق أن أخبرتك به .

وتألفت عينها فى شراسة ، وهى تنابع فى غضب :

— أن أعدمك يا (أدهم صبرى) .

رأى صمت ثقيل على المكان ، و (أدهم) يفكر فى كلمات
(سونيا) فى عمق ، قبل أن يقول فى هدوء :

— وكيف يمكن أن أضمن سلامة المبادلة يا (سونيا) ؟

لُوحت بذراعها ، وهى تقول فى انفعال :

— ضع أبنت الضمانات أيها الشيطان .. المهم أن أظفر بك
فى النهاية .

عاد الصمت يلغهما بردائه الثقيل لخطات ، قبل أن يعود
(أدهم) إلى الحديث فى هدوء :

— حسنًا يا (سونيا) .. إننى أوافق على مبادلة حياة

(قدرى) بحياتى ، على أن يم ذلك على نحو يسمح لك بالتأكد

من تحقيق هدفك ، الذى هو إعدامى ، ويؤكد لى فى الوقت

٨١

(٦٤ - رجل السجل (٥٨) إعدام بطل)

— لقد اتفقتنا على أنه لا توجد ضمانات يا (سونيا) .

تفكرت فى كلماته لحظة ، ثم قالت فى انفعال :

— لن أطلق سراح (قدرى) قبل أن أحصل عليك
بالفعل .

ابتسم فى هدوء ، وهو يقول فى برود :

— اتفقتنا .

ثم تحرَّك نحو النافذة فى خذر ، وهو يصوب إليهم مسدسه ،
وتوقَّف لحظة ليسأل (سونيا) فى هدوء :

— بالمناسبة يا (سونيا) .. كيف تتوین إعدامى ؟

تألفت عينها فى شراسة ، وهى تقول :

— شفقًا يا عزيزى (أدهم) .. شفقًا .. سيحلون رؤيتي
جسديك بتأرجح فى حبل المشقة .

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

— هذا طريف .. سأكون آخر من يخرج لسانه للجميع

إذن .

ثم قفز فجأة خارج النافذة ، وسرعان ما ابتلعه الظلمة ،
بعد أن تحرَّج موعد إعدامه .

إعدام بطل ..

٨٣

ذاته أن (قدرى) و (منى) لن يتعرضا للأذى بعد مصرعى .
لم تصدق (سونيا) أذليها ، وهى تنف فى انفعال :

— أقسم لك بشرفى .

ابتسم فى مزيج من المראה والسخرية ، وهو يقول :

— كلاً يا عزيزتى (سونيا) .. إننى أريد ضمانًا ألق فيه .

عقدت حاجبها فى غضب ، وهى تقول :

— ماذا تريد بالضبط ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

— ستم المبادلة فى مكان محاييد يا (سونيا) ، ولكننى نفس
المنطقة المقفرة التى حاول (مانى) و (جان) قتلنا فيها ..

سأذهب إلى هناك فى الثالثة صباح الغد ، وبصحبة زميلتى
(منى) ، فى حين تذهبن أنت مع (قدرى) ، ومن تشائين

من رجالك ، وسأنتقل إلى سيارتك ، وأضع روحي رهن
إشارتك ، فى نفس الوقت الذى ينتقل فيه (قدرى) إلى

سيارتى ، وينطلق بها بعيدًا فى أمان بصحبة (منى) .

عقدت حاجبها مفكرة فى عمق ، ثم سأله فى تردّد :

— وما الذى يضمن لى أنك لن تلجأ إلى الخداع ؟

هز كتفيه قائلاً :

٨٢

١٠ — مقابلة في الظلام ..

اقتعت الدموع في عيني (منى) ، وهي تستمع إلى (أدهم) في خليط من الدهشة والذعر ، قبل أن تهتف في انفعال :

— إنك لن تستسلم لها بالطبع .. أليس كذلك ؟
بدت لها ابتسامة (أدهم) شاحبة ، باهتة ، وهو يرتب على كنفها في حنان ، قبل أن يجلس في هدوء على المقعد المقابل لها ، ويقول في صوت خافت :

— لقد درست الموقف كله وأنا في طريق العودة إلى هنا يا (منى) ، ووجدت أنه ليس أمامي سوى ذلك ، من أجل (قدرى) .

هتفت (منى) في توثر :

— ومن أدراك أن (قدرى) سيقبل تضحيتك هذه ؟

مطأ شفتيه ، وهو يقول :

— لن يكون أمامه إلا أن يقبل يا (منى) ، فأننا لن

أترجع .

عجزت أخيرًا عن كبت الدموع التي تتصارع في مقبلتها ، فتركها تنهمر على وجنتها ، وهي تقول في ألم :



ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

— هذا طريق .. سأكون آخر من يخرج لسانه للجميع إذن ..

— لا ريب أنه هناك وسيلة ما .. إنك لن تضحي بعمرك

على هذا النحو .

خفض عينيه لحظة ، وقال في هدوء :

— صدقي يا (منى) .. إن حياة (قدرى) تساوى

عندي الكثير .

لم تصدق ما تسمعه أذناها ..

لم تصدق أن (أدهم صبرى) سيتسلم لمصيره هذه

المرّة ..

(أدهم صبرى) الذى جاب أركان العالم ، وحطم عملاقة

الجناسوسية والإجرام ..

(أدهم صبرى) الذى أذل ناصية كل أجهزة المخابرات

التي حاولت التّيل من أمن وطنه ..

(أدهم صبرى) الذى تحبه ، والذى ملك قلبها حتى لم يعد

فيه مكان لسواه ..

ووجدت نفسها تندفع فجأة لتحضن رأسه بكفها ،

وتفجر باكية ، وهي تهتف في مرارة :

— كلاً يا (أدهم) .. إننى لن أترك هذه الأفعى تقتلك ..

لن أتركها تتزعزع منى حياتي ومستقبلي .

تطلّع إليها (أدهم) ل دهشة ، ثم ابتسم مغمغماً :

— حياتك ومستقبلك ؟! .. يا إلهي !!.. لم لم تسع

(سونيا) إلى ذلك منذ زمن ، حتى أحصل على اعترافك هذا ؟

لم يحمر وجهها خجلاً هذه المرّة ، ولم تحاول مداراة

عواطفها ، وهي تهتف :

— لن أتركك لها يا (أدهم) .. لن أتركك لها أبداً .

رُبت على شعرها في حنان ، ورفع إليها عيتين مغمغمتين

بالعاطفة ، وهو يقول :

— ما من وسيلة أخرى يا عزيزتى .. لابد أن تحصل تلك

الأفعى على فريستها .

صاحت في مرارة :

— كلاً .. كلاً .

أمسك رأسها بين راحتيه ، وأدار عينيها لتواجه عينيّه ،

ومدّ أنامله في حنان يمسح دموعها الغزيرة ، ثم ابتسم وهو

يمس :

— ثقي لى يا (منى) .. ثقي لى يا عزيزتى ..

وعادت دموعها تنهمر كالفيض ..

لُوح (فرانك) بذراعه في سخط ، وهو يقول محتجاً :

— يا لك من حياء يا (سونيا) !! إن هذا الرجل لن يأتي أبدا .. لقد قلت بنفسك إنه مكر كاللعب .
 ابستم في برود ، وقالت وهي تفت ذخان سيجارتها :
 — حتى اللعب يستسلم حيناً ينهكه التعب ، ولا يجد مخرجاً يا عزيزى (فرانك) .

صاح في سخط :
 — وكيف تضمنين أنه سيستسلم ؟ .. ما أدراك أنه ينشئ الأرض الآن بجلا عن رفيقه ؟

هزت كفيها في لامبالاة ، وقالت في هدوء :
 — فليقل .. إنه لن يجده قط ، وسيكون من سوء حظها أن يعثر عليه .

وعادت تفت ذخان سيجارتها ، وهي تستطرد في هدوء :
 — أنت لا تعرف (أدهم صبرى) مثلما أعرفه يا (فرانك) .. إنه يشبه فرسان العصور الوسطى الأغبياء ، فهو شهيم ، شجاع ، لا يتردد في التضحية بحياته من أجل رفاقه .. ولقد أخذت كل أسباب الحيلة هذه المرة ، حتى أُحْيى عليه الحناق ، وأجعله يعجز عن العثور على رفيقه . فلا يصبح أمامه سوى الاستسلام .. وأنا لست بالغباء الذى تصوّره

بالطبع ، فلم أتوقع أبداً أن يستسلم (أدهم صبرى) بكل بساطة .. إن إضراره وعناده سيدفعانه للمقاتلة حتى آخر رفق ، ولكننى لن أدع له فرصة للنصر .

عقد (فرانك) حاجبيه ، وهو يقول :
 — تبدين واثقة يا (سونيا) .

ابستم في شراسة ، وهي تقول في هدوء :
 — جدّاً يا عزيزى (فرانك) ... جدّاً .

بدا (قدرى) شديد الشحوب ، كثير التوتر ، على الرغم من أنه لم يمض في سجنه أكثر من أربعة أيام ، ولقد ظل صامداً ، ممطوط الشفتين في غضب ، وحراسه الأربعة ينقلونه من سجنه إلى سيارة فارغة تقف أمام ذلك المنزل القديم ، الذى احتواه قبوه طيلة الوقت ، ولكنه لم يكذب يدخل السيارة ، حتى هتف في دهشة :

— (سونيا) ؟ .. هل قرّرت إعدامى أخيراً ؟
 تفتت (سونيا) ذخان سيجارتها في برود ، وهي تقول :
 — لا أظن حبل المشنقة يحتمل ثقلك أيها البدن .. إننى أعدّها لرجل آخر .

جفل (قدرى) لحظة ، والتفت إلى صاحبة الصوت ، وقال في جدّة :

— أهو أنت أيّها الحيّة التى تحمل صوت (منى) ؟ .. من العجيب أننى لم ألحظ وجودك من قبل .

صاحت (راشيل) في غضب :

— صُ يا برميل الشحم وإلا

قاطعتها (سونيا) في جدّة :

— كفى يا (راشيل) .. لا تُنسى من الزعيم هنا .

عقدت (راشيل) حاجبها في غضب ، وهي تغمغم :

— لا تتحدثى إلّى بهذه اللهجة يا (سونيا) .

مالت (سونيا) نحوها ، وهي تقول في برود :

— هكذا ؟ .. يبدو أنك ستداين في غرورك ، فجرد أننى لم أعفك على غيابك الطويل هذا الصباح .

هتفت (راشيل) في جدّة :

— لقد كنت أبتاع بعض المشتريات يا (سونيا) ، وليس من حقك تعييفي ، ولا تنسى أننى أعاونك بإرادتي ، فأنت لست عضواً في (الموساد) بعد .

صاحت (سونيا) في غضب :

عقد حاجبيه ، وهو يقول في جدّة :

— دُعابة سخيفة يا (سونيا) .

ابستم في سخرية ، وهي تقول :

— هل تفضّل دُعابات صديقك (أدهم) ؟ .. يؤسفنى

أنك لن تستمتع بها بعد اليوم ، فسأعدم (أدهم صبرى) في الفجر .

هتف (قدرى) في صرامة :

— هيات .. نجوم السماء أقرب إلى يديك من هذا الحلم السخيف .

أطلقت ضحكة شيطانية ساخرة ، قبل أن تقول في برود :

— أهذا ما تظنه ؟ .. أراهنك أنك ستبدل رأيك هذا بعد نصف الساعة فقط .

تطأع إليها (قدرى) في توتر ، وقال في جدّة :

— ماذا أعددت يا (سونيا) ؟ .. ماذا أعددت أيّها

الأفعى ؟

ابعث صوت أنفوى من المقعد الأمامى يقول في خشونة :

— تحدّث إليها بلهجة مهذّبة ، أو أقطع لسانك أيها

الرجل .

— (راسيل) !! ... انى ...

قاطعها (قدرى) فى عصية :

— لست أجد شجاركا طريقا يا (سونيا) .

الفتت (سونيا) إليه فى برود ، وقالت :

— هكذا !! ... حسنا أيها البدن .. لن أجبرك على إحتال

شجارنا طويلا .

وبإشارة من يدها انطلقت السيارة إلى حيث موعد المبادلة

القائلة ..

توقفت سيارة (سونيا) فى ذلك الطريق المظلم وسط

الجبال ، ونظرت إلى ساعتها قائلة فى توثر :

— إنها الثالثة .. ينبغي أن تظهر سيارة (أدهم صبرى)

الآن .

لم تكذب عبارتها ، حتى لاحت أضواء سيارة (أدهم)

وهي تقترب ، فانفض جسد (سونيا) من فرط الانفعال ،

وغمغمت :

— لقد وصل .. لقد وصل إلى حتفه .

٩٢

توقفت سيارة (أدهم) على بعد أمتار من سيارة
(سونيا) ، وهتت (سونيا) غريها بفادر السيارة ، ثم يلقي
كلمة ما على مسامع زميله الجالسة إلى جواره ، قبل أن يتقدم
فى هدوء نحو سيارتها ..

وهبطت (سونيا) من سيارتها ، وجذبت (قدرى) فى

عنف ليتمها ، ثم وقفت تصوب إليه مسدسها ، وهي تنفض

انفعالا ، وتتابع (أدهم) وهو يتقدم فى ببطء وهدوء ..

وتوقف (أدهم) فى منتصف المسافة ، وقال فى صوت

مرتفع :

— (قدرى) يا (سونيا) .

صاحت (سونيا) فى حدة :

— أنت أولا يا (أدهم) .

مطأ (أدهم) شفتيه ، وعاد يواصل سيره فى هدوء ، حتى

وصل إلى حيث يقف (قدرى) و (سونيا) ، وقفزت

(راسيل) ، خارج السيارة ، وهي تصوب مسدسها إلى رأس

(أدهم) فى توثر ، وهتف (قدرى) فى حرارة :

— اهرب يا (أدهم) .. اتركنى واهرب .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

— اهرب !! ... لماذا يا عزيزى (قدرى) ؟ .. إنها نواجه

فئتين فحسب .

٩٣

صاحت (سونيا) فى حدة :

— أنت واهم أيها الشيطان .

وبإشارة من يدها برز خمسون رجلا من رجال (فرانك)

من خلف الصخور ، وصوبوا مدافعهم الرشاشة إلى الجميع ،

وابتسمت (سونيا) فى ظفر ، قائلة :

— لقد خسرت يا (أدهم صبرى) .. سيطلق هؤلاء

الرجال النار علينا جميعا ، بما فى ذلك أنا و (راسيل) ، لو أنك

حاولت النكوص .. لقد خسرت حياتك هذه المرة .



٩٥



وجذبت (قدرى) فى عنف ليتمها ، ثم وقفت تصوب إليه مسدسها ،

وهي تنفض انفعالا ، وتتابع (أدهم) وهو يتقدم فى ببطء وهدوء ..

١١ — استسلام (أدهم صبرى) ..

لم تحرك (منى) ، التى تجلس فى السيارة ، ساكنًا أمام هذه المفاجأة . وكأنها لم يعد يتغير أى شيء بعد أن خسرت (أدهم صبرى) ، فى حين ارتجف (قدرى) ، وغمغم فى عصبية :
— يا إلهى !!! إنها النهاية .

أما (أدهم) فقد ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :
— وسيلة طريفة لضمان تنفيذ الاتفاق يا (سونيا) .

هفت (سونيا) فى حراسة :

— ووسيلة طريفة للتخلص منكم جميعًا بضربة واحدة أيا الشيطان .

طلت ابتسامة (أدهم) هادئة ، وهو يقول :
— خطأ يا (سونيا) .. أنا أيضًا أعددت الضمانات اللازمة .

ثم أشار إلى السيارة التى تجلس فيها (منى) ، واستطرد فى هدوء :

— هل تريد هذه السيارة ؟ .. إنها مزودة بمدفِع (بازوكا) ، يمكنه تحويل السيارات إلى رماد بطلقة واحدة ، ولن تتردّد

(منى) فى إطلاقة إذا ما حاولت خداعنا .. ثم إنه ليس من المنطقي أن تخاطرى بخسارة كل شيء ، مادمت ستحصلين على طبقًا للاتفاق .

عصت شفتيا لحظة ، ثم قالت فى جدّة :

— سأحكم وثاقتك أولًا ، قبل أن أطلق سراح زميلك البدين .

هزّ كفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

— كما يحلو لك يا (سونيا) ، ولكنى أريد أن أودّع (قدرى) أولًا .

تراجعت (سونيا) لتفصح لهما الطريق ، فاندفع (قدرى) يعانق (أدهم) فى حرارة ، وهو يهتف فى ألم ، ودموعه تساق على وجنتيه :

— إننى لا أقبل هذه التصحية يا (أدهم) .. لا أقبلها أبدًا .

رُبّت (أدهم) على كتفه فى حنان ، وهو يقول :

— ثق إننى لن أندم أبدًا يا (قدرى) ، وأرجو أن تذكرنى دومًا .

هفت (قدرى) فى مرارة :

— كلاً .. إننى لا أقبل ذلك .

أدار (أدهم) معصيه خلف ظهره فى استسلام ، وترك (سونيا) ثوبه بأغلال حديدية ، وقال له (قدرى) فى صرامة :

— اذهب يا (قدرى) .

ترقرقت الدموع فى عيني (قدرى) ، واندفع فى خطوات سريعة تحت أبصار الرجال الخمسين ، الذين يصوبون إليه مدافعهم الرشاشة نحو سيارة (أدهم) ، وتابعته (راشيل) بصورها فى اهتمام ، حتى وصل إلى السيارة ، وقفز إلى مقعد القيادة ، والتفت نحو (منى) وكأنه ينوئ أن يقول لها شيئًا ما ، إلا أنه عاد يعتدل فى حركة حاذئة ، وأدار محرك السيارة ، وانطلق بها مبتعدًا ..

وبقى (أدهم صبرى) وحده ، وسط رجال (فرانك) الخمسين ، ومدافعهم الرشاشة ، وبين يدي (سونيا) جراحام .. أقمى (الموساد) القاتلة ..

انتهت (سونيا) من إحكام وثاق معصى (أدهم) وقدميه ، وأشعلت سيجارتها بأصابع مرتعفة من شدة الانفعال ، فقالت لها (راشيل) فى سخرية :

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

— لا تدع الحزن يحدك يا صديقى .. لا تدع أى شيء فى الدنيا يدهشك .. ستقابلك مواقف تبعث الدهشة فى أعماقك حتى النخاع ، فحاول أن تحتفظ بها داخلك ، ولا تدعها تغفر إلى ملائحتك أبدًا و

قاطعته (سونيا) فى عصبية :

— هل تنتظر طيلة الليل ؟

التفت إليها (أدهم) ، وقال فى برود :

— أنا رهن إشارتك يا (سونيا) .

هفت (قدرى) :

— كلاً .. لن أصبح بذلك .

رُبّت (أدهم) على كتفه ، قائلاً :

— اذهب يا (قدرى) ، ستقود أنت السيارة .

ثم مدّ معصيه إلى (سونيا) ، قائلاً :

— هيا يا عزيزتى (سونيا) .. إننى أنتظر إحكام وثاق فى شوق .

صاحت به فى انفعال :

— خلف ظهرك يا سيد (أدهم) .

— هل نقله الآن ؟
هزّت (سونيا) رأسها نفياً في عصبية ، وقالت :
— كلاً .. لقد وعدته بالشفق ، وأنا من النوع الذى يحافظ
على وعده دوماً .
ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :
— كل الوعود ، أم الجانب القدر منها فقط ؟
صاحت (سونيا) في جذّة :
— هل تتعجل مصرعك ؟
هزّ كتفيه في لامبالاة ، وقال :
— لا فارق يا (سونيا) .. سأجو من الموت شفقاً على
الأقل .

ابتسمت في سخرية ، وهي تقول :
— كلاً يا عزيزى (أدهم) .. لقد وعدتك .
ثم التفتت إلى (راشيل) ، قائلة :
— اذهبى بنا إلى حيث أعددنا المشقة يا عزيزتى
(راشيل) .
ابتسمت (راشيل) في سخرية ، وهي تقول :
— على الرّحب والسّعة يا عزيزتى (سونيا) .

١٠٠

واستدارت في حركة حاذئة لتسلك بمقود السيارة ، ولكن
معصمها ارتطم بالمقود ، فتأوّمت في قوّة ، وهتفت في خنق :
— معصمى !! لن يمكننى القيادة .
غمغم (أدهم) في سخرية :
— يمكننا إلغاء تنفيذ حكم الإعدام إذن .
صاحت به (سونيا) في خنق :
— حنة .. سأقود أنا السيارة .
ثم التفتت إلى (راشيل) ، وصاحت في وجهها غاضبة :
— صوّى مسدسك إلى رأسه ، ولا تتردّد في إطلاق
النار ، وسيبعا رجال (فرانك) عن قُرب .
ثم انتقلت إلى المقعد الأمامى ، وانطلقت بالسيارة في
عصبية ..

كانت (سونيا) تتوقّع طوال الوقت أن يقاوم (أدهم) ،
أو يلجأ إلى خدعة ما ، إلا أنه على العكس ظلّ هادئاً ساكناً ،
وكأنه ارضى الموت ، ولم يشدّ بأنه به ..
وانطلقت السيارة قراية الساعة ، وسط شوارع

١٠١

(هاواى) الواسعة ، تتبعها وتحيط بها عشر سيارات ، تحمل
رجال (فرانك) في تآهب واستعداد ..
كان موكباً عجيباً ..
موكب إعدام أعظم ضابط مخبرات في العالم ..
موكب نهاية (رجل المستحيل) ..
ولم تكن هناك حقاً فائدة من المقاومة هذه المرّة ..
لقد احتاطت (سونيا) لكل شيء ، حتى أنها قرّرت
الضحية بنفسها ، لو اقتضى الأمر ، لضمان مصرع (أدهم)
صبرى ..
وتوقّفت السيارة أخيراً أمام منزل قديم ..
نفس المنزل الذى كانوا يحتجزون فيه (قدرى) ..
وهبطت (سونيا) ، وهي تقول في انفعال :
— وصلنا إلى غرفة الإعدام يا سيّد (أدهم) .
أشار (أدهم) بعينه إلى ساقيه المقيدتين ، وقال في
سخرية :
— كنت أفتنى أن أتعلك يا عزيزتى (سونيا) ، ولكن
القيود التى تلفّ ساقى تغوّقى .
عقدت حاجبها ، وهي تقول في جذّة :

١٠٢

— لا تحاول .. لن أترك لك فرصة للخداع هذه المرّة .
وأشارت إلى بعض رجال (فرانك) ، فأصرعوا يحملون
(أدهم) إلى الداخل ، وعقد (أدهم) حاجبيه ، حيناً وقع
بصره على ما أعدّ له ..
كان هناك تابوت خشبى أسود مفتوح ، تحطّ عليه بحروف
أنيقة اسم (أدهم صبرى) باللغات العربية والإنجليزية
والعبرية . وفي وسط الحجرة نصب بعضهم مسرحاً خشبياً
مرتفعاً ، يبرز من منتصفه عمود خشبى ضخم ، ينتهى بزاوية
قائمة ، تدلّى منها حبل غليظ ، يحمل في آخره أنشودة
معقودة ، ومعدّة للشنق ..
وفي صوت عميق منقلع ، قالت (سونيا) :
— المشقة يا عزيزى (أدهم) .. هانئك المنتظرة ..



١٠٣

١٢ - إعدام بطل ..



وقف (أدهم) يتأمل المشنقة المعدة لإعدامه في هدوء ..

وقف (أدهم) يتأمل المشنقة المعدة لإعدامه في هدوء ،
ثم ابتسم في سخرية ، وهو يقول لـ (سونيا) :

— لك ذوق ممتاز يا عزيزتي (سونيا) ، هل تسمحين لي
بالحصول على صورة تذكارية مع هذه المشنقة الأنيقة ؟
نفثت (سونيا) دُخان سيجارتها في هدوء ، وهي تقول :
— ستحصل على ما هو أكثر من صورة تذكارية يا عزيزي
(أدهم) .

ثم أشارت إلى رجال (فرانك) ، فالتفتوا حول منصة
الإعدام ، ومدافعهم الرشاشة مصوبة إلى (أدهم) ، وقالت
(سونيا) في برود :

— هأنذا ترى يا عزيزي (أدهم) أنه لا فائدة من محاولة
الفرار .

ابتسم في هدوء ، وهو يقول :
— اطمئني يا عزيزتي (سونيا) .. أنا لا أنوى الفرار
قط .

عقدت (سونيا) حاجبها في سخط ، وقالت :

١٠٤

— شكرًا يا عزيزتي (راشيل) .. لن أنسى أبدًا أنك مستكونين
صاحبة الفضل في إعدامي .

غمضت (راشيل) في سخرية :
— لا توجد ذكريات في العالم الآخر أيها الشيطان .
مطّ شفتيه في أسف مصطنع ، وهو يقول :
— من المؤسف أننا لن نلتقي أبدًا في العالم الآخر ، فساكون
في الجنة .

أطلقت (راشيل) ضحكة عايفة ، وهي تتحسّن وجهه
بأناملها ، قائلة :

— سيؤسفني ذلك حقًا ، فأنت أكثر من قابلت وسامة في
عالم الخابرات ، وأكثرهم جاذبية .
صاحت (سونيا) في غضب :

— (راشيل) !!
عقدت (راشيل) حاجبها ، وهي تقول :
— حسنًا يا (سونيا) !! حسنًا !!
ثم انحنت أمام (أدهم) بطريقة مسرحية ، وهي تقول :
— إلى المشنقة يا سيدي اللورد .
صعد (أدهم) درجات سلّم منصة الإعدام منتصب

١٠٧

— من حُكّ أن تمرح قليلًا قبل أن تتدلى من حبل المشنقة .
هزّ كتفيه في هدوء ، وهو يقول :

— ومن ذا الذي لا يترحم في مثل هذا الحفل البهيج ؟
تقدّمت منه (راشيل) في حركة مفاجئة ، وانحنت تحل
وئافه ، وهي تقول :

— هيّا أيها البطل .. لقد سمعت ذلك الحوار السخيف .
هتفت بها (سونيا) في غضب :
— ماذا تفعلين يا (راشيل) ؟

خدّجتها (راشيل) بنظرة تحدّ ، وهي تقول :
— أسعى للحصول على جزء من المجد يا عزيزي
(سونيا) .. سأضع أنشطوة الحبل بنفسى حول عنق السيد
(أدهم صري) .. لا يقلقلتك هذا ، فلن أحثّل إلّا مساحة
ضئيلة إلى جوارك في كتب التاريخ .

عقدت (سونيا) حاجبها لحظة ، وغشيت أن تجادل
(راشيل) لفقد هبتها وسط رجال (فرانك) ، فلم يكن منها
إلّا أن غمضت ، وهي تلوّح بذراعها في برود :
— لا بأس .. لك ذلك .

نهض (أدهم) واقفًا على قدميه ، بعد أن انتهت (راشيل)
من حل وئافه ، وابتسم في وجهها وهو يقول :

١٠٦

القائمة ، شاخ الجبين ، حتى أن (سونيا) نفسها لم تحاول إخفاء ذلك الإعجاب الذى تبدى فى ملامحها ، وهى تابعه بصرها .. وانتفضت فى انفعال حيناً أحاطت (راشيل) عنقه بأنشطة الحبل فى عناية فائقة ، والتفت إليها تنتظر أوامرهما .. ارتبكت (سونيا) لحظة ، ثم رفعت عينها إلى (أدهم) ، وقالت فى توتر واضح :

— هل تعلم ماذا سيحدث عندما تجذب (راشيل) تلك الذراع الصغيرة ، فى طرف منصة الإعدام يا عزيزى (أدهم) ؟ .. ستفتح من تحت قدميك طاقة كبيرة ، وسيبوى لجسدك قبضة ، وستعلق كله بذلك الحبل الذى يلتف حول عنقك ، وستكون الصدمة عيفة ومفاجئة ، حتى أن فقرات العنق عندك لن تتحمل ، وستفصل إحداها فى صوت مزعج ، ويتمزق الحبل الشوكى ، الذى يحمل الأعصاب من مخك إلى أجزاء جسمك المختلفة ، وهذا ما نسميه بالموت شتقاً . ثم صمت لحظة ، قبل أن تستطرد فى هدوء :

— وبعد أن أتأكد من مصرعك ، سأرسل برفقة إلى إدارة الخابرات المصرية ، أقول فيها إنه قد تم إعدامك ، وستعمل برفق داخل ذلك الثابوت الخشبي ، ونرسله إليهم مع تحياتي .

١٠٨

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :
— من المؤسف أن يدعى مقبضان خلف ظهري يا عزيزي (سونيا) ، وإلا التفت بالتصفيق .
عقدت حاجبها فى مزيج من الدهشة والحق ، لسخرية فى مثل هذه اللحظة ، ثم سأله فى توتر :
— والآن ماذا تريد قبل إعدامك .. كل المحكوم عليهم بالإعدام لهم الحق فى مطلب أخير .

ازدادت ابتسامته سخرية ، وهو يقول :
— هل لى أن أتمس إعدامى ربيعاً بالرصاص ؟
صاحت فى جدّة :

— كلا .
ثم استعادت برودها فى سرعة ، وهى تستطرد :
— لقد تقررت هذه الوسيلة وحدها لإعدامك .
رفع حاجبها فى دهشة مصطعنة ، وهو يقول فى سخرية :
— يالها من محاكمة عادلة !!

هتفت (راشيل) فى ضجر :
— أأجذب الذراع ، أم أنكما تنويان التحدث حتى الغد ؟
حدثها (سونيا) بنظرة غاضبة ، ثم أشاحت بوجهها إلى ساعة الحائط القديمة ، وقالت فى انفعال :

١٠٩

— فليستل التاريخ هذه اللحظة .. الخامسة وعشر دقائق فجراً .. لحظة إعدام (أدهم صبرى) .
والتفت إليه قائلة فى هدوء :
— وداعاً يا (أدهم صبرى) .
ابتسم ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :
— وداعاً يا عزيزي (سونيا) .
وأشارت (سونيا) بيدها إلى اضطراب ، وتألقت عينا (راشيل) فى جدل ، وجذبت الذراع ..
وبهازى جسد (أدهم) غتر الفجوة .. وارتعد الحبل الذى يلتف حول عنقه لحظة ، وسمع الجميع صوت فقرته العنقية تتحطم ، ثم تراخى جسده تماماً ..
ارتجفت (سونيا) على نحو ملحوظ ، حتى أنها عجزت عن إشعال سيجارتها ، وهى تعقم فى اضطراب شديد :

— هل .. هل مات ؟

انحنت (راشيل) لتلمس أذنها بموضع قلب (أدهم) ، ثم ابتسمت فى فخر ، ولوحت بيدها قائلة :
— لقد مات يا (سونيا) .

وانتفض جسد (سونيا) فى قوة ، وهى لا تصدق أنها قد قتله أخيراً ..

١١٠

قتلت الرجل الذى طالما أذلها وهزمها ..
واختق صوتها وهى تعقم فى انفعال :
— أرسلوا البرقية إلى الخابرات المصرية ..
وعادت تتأمل جثة (أدهم صبرى) فى انفعال متزايد ..
وغغممت فى صوت أقرب إلى البكاء :
— لقد خسرت معركتك هذه المرة يا (أدهم صبرى) ..
خسرت الجولة الأخيرة ..
ولم يجب (أدهم صبرى) هذه الليلة .. لم يجب أبداً ..

انتهى الجزء الأول بحمد الله ويليهِ الجزء الثانى

[انتقام شبح]

١١١